منهج الإمام أبي بكر ابن الأنباري
في عرض القراءات وتوجيهها من خلال كتابه الزاهر
–دراسة وصفية–

د٠ عبدالعزيز حميد الأنصاري (*)

المقدمة :

الحمد لله الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، والصلاة والسلام على من أرسله الله هاديًا ومبشرًا ونذيرا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرا، بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد: فإنَّ الله تعالى أنزل القرآن الكريم؛ ليكون هداية للناس، وليخرج العباد من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان والهداية، قال تعالى: ﴿ الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[إبراهيم: ١]، ومن أعظم طرق الهداية بهذا الكتاب العزيز العمل به والاهتداء بهديه واتباع أوامره واجتناب نواهيه؛ ليكون دستور الأمة ومنهج حياة لها.

وإنّ العلومَ وإن اختلفت أصولُها، وتعدّدت مشاربُها؛ فإن أعظمَها شأنًا، وأشدَّها متانةً، وأعلاها ذكرا ما اتصل بالقرآن العظيم ـ خيرِ كتاب، وأعظمِ سفر ـ، ولا شك أنّ علمَ القراءات أكثرُ العلوم التصاقا وتعلقا بكتاب الله؛ فهو علمٌ شريف، وشرف العلم من شرف المعلوم.

(*) الأستاذ المساعد بجامعة الطائف– الكلية الجامعية بتربة – قسم الشريعة– تخصص القراءات.

ألا وإن من أهم العلوم التي تتفرع عن علم القراءات علمَ توجيه القراءات، وهو علمٌ يبيّن وجوهَ القراءة وموافقتها لقواعدِ النحوِ، واللغة؛ تحقيقًا وإقرارًا للركن المعروف للقراءة الصحيحة؛ وهو موافقتها للّغة ولو بوجهٍ، وهو علمٌ عذبٌ يأخذ بزِمام علومٍ عدَّة؛ فتارةً يكشف عن الوجهِ الإعرابيّ، وأخرى يدلف لعلم التفسير، ويتناول الغريب، ويدلّل ويستشهد على ذلك كلّه بآيٍ القرآن، وبأشعار العرب، وأمثالهم، وأقوالهم...

وقد كتب العلماء في هذا العلم قديمًا وحديثًا ما بين مصنفات في توجيه القراءات على سبيل الاستقلال أو نصوصًا منثورة وقعت في بطون الكتب الأخرى في شتى علوم القرآن أو التفسير أو حتى علوم اللغة...

فكان من بين هؤلاء الأئمة: الإمام أبو بكر بن الأنباري (ت٣٢٨هـ/٩٤٠م) حيث حفظت لنا كتبه القيمة ومؤلفاته النافعة جملة وافرة من أقواله في القراءات القرآنية رواية ودراية.

ومن هنا جاء هذا البحث الذي أتناول فيه بيان منهجه في عرض تلك القراءات وطريقته في التعليل والتخريج لها في كتابه (الزاهر في معاني كلمات الناس).. وعنونته بـ(منهج الإمام أبي بكر ابن الأنباري في عرض القراءات وتوجيهها من خلال كتابه: الزاهر).

*** وتأتي أهمية هذا الموضوع من خلال ما يأتي:**

أولًا: تقدم عصر الإمام أبي بكر ابن الأنباري حيث ولد في القرن الثالث الهجري سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م، وهو آخر القرون الثلاثة المفضلة، وعاصر إمام المفسرين ابن جرير الطبري، وكان القرن الثالث هو عصر ازدهار تدوين العلوم الإسلامية.

ثانيًا: تنوع المسالك التوجيهية عند أبي بكر ابن الأنباري ما بين توجيه تفسيري، أو تخريج لغوي، أو بلاغي، أو تصريفي، أو صوتي، مع استناده في

ذلك إلى آية أو قراءة أخرى، أو أثر نبوي، أو تفسير آية، أو سبب نزول، أو شعر عربي فصيح..

ثالثًا: تميُّزُ منهجِه بالاستنباط والتعقبات على أقوال من سبقه كابن قتيبة وأبي حاتم السجستاني، وترجيحات، ما يدل على أنه صاحب صنعة تفسيرية وتميز واجتهاد في هذا الباب.

رابعًا: قوة القواعد التي تعامل بها مع القراءات القرآنية وأصالتها في جانبي الرواية والدراية.

خامسًا: يُعد كتابه الزاهر من أقدم الكتب في عزو القراءات لأصحابها، فلنتفطن لذلك.

سادسًا: الملكة العلمية لدى هذا الإمام الفذ، والتبحّر في كثير من الفنون والعلوم، فقد جمع إلى التفسير وعلومه التمكن والرسوخ في لغة العرب وأشعارهم، والمعرفة بلطائف التفسير والقدرة الفائقة على التعبير والاستنباط والترجيح.

كل هذه الأمور لها دور كبير في جعل أقوال أبي بكر ابن الأنباري في القراءات وتوجيهها جديرة بالجمع والدراسة.

أسباب اختيار هذا الموضوع:

أولًا: اعتماد العلماء عليه في القراءات والتفسير ونقلهم عنه، كالثعلبي، والماوردي، والواحدي، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والقرطبي، والخازن، وأبي حيان، والشوكاني، وغيرهم.

ثانيًا: ثناء العلماء عليه، قال محمد بن جعفر التميمي: "ما رأينا أحدا أحفظ من ابن الأنباري، ولا أغزر من علمه"(١)، وقيل: إن من جملة محفوظه عشرين ومائة

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٢٩٩/٤).

تفسير بأسانيدها[1]، وقال الخطيب البغدادي: "كان ابن الأنباري صدوقًا ديِّنًا من أهل السنة".[2]

ثالثًا: الرغبة في الاطلاع على المنهج الذي سار عليه ابن الأنباري في عرض القراءات وتوجيهها كلام الله تعالى.

رابعًا: إثراء المكتبة القرآنية بإضافة جديدة في العلوم القرآنية، لم تسبق إليها.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى عدة أمور:

أولًا: إبراز شخصية هذا العالم الفذ بوصفه فارسًا من فرسان هذا الميدان.

ثانيًا: تلمس المنهج الذي سار عليه ابن الأنباري في عرض القراءات وتوجيهها.

ثالثًا: معرفة المصادر والأدلة التي اعتمد عليها ابن الأنباري في أقواله في توجيه القراءات.

رابعًا: تصنيف القراءات المذكورة في سفر ابن الأنباري الذي عنون له بـ(الزاهر)، وترتيبها بناء على نظر القراء.

الدراسات السابقة:

بعد البحث في قوائم الكتب المطبوعة، وفهارس الرسائل العلمية، ومشاورة أهل الاختصاص لم أقف على دراسة تعنى ببيان منهج ابن الأنباري في عرض القراءات وتوجيهها في كتابه الزاهر.

إلا أن هناك رسالتين تبحثان في علوم القرآن عند ابن الأنباري:

إحداهما: جهود ابن الأنباري في التفسير وعلوم القرآن، رسالة علمية للباحث فرج بن فريج بن فرج العوفي مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية

---

(١) نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات الأنباري (ص: ١٨٣).

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٢٩٩/٤).

بالمدينة المنورة عام ١٤١٦هـ، قسَّم الباحث رسالته إلى مقدمة وبابين وخاتمة: المقدمة: فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره وخطة البحث ومنهج الكتابة فيه، الباب الأول: جهود ابن الأنباري في علوم القرآن وفيه الحديث عن حياته الشخصية والعلمية ويشتمل على فصلين، الفصل الأول: دراسة مؤلفات ابن الأنباري في علوم القرآن، الفصل الثاني: في مسائل متفرقة في علوم القرآن، الباب الثاني: جهود ابن الأنباري في تفسير القرآن.

الثانية: علوم القرآن عند ابن الأنباري رسالة علمية، للباحث صالح بن سعود السعود، مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، في قسم القرآن وعلومه، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤٢٩هـ/١٤٣٠هـ، ذكر الباحث منهج ابن الأنباري في علوم القرآن في القسم الأول من البحث، ثم ذكر في القسم الثاني من البحث مسائل علوم القرآن، وهي نزول القرآن، والنسخ، وجمع القرآن الكريم، وفضائل القرآن، وأحكام تلاوة القرآن، وإعراب القرآن الكريم، والقراءات وتوجيهها وبلاغة القرآن، ودلالات الألفاظ من حيث الشمول، والحقيقة والمجاز، ومشكل القرآن، ثم ذكر في القسم الثالث من البحث الموازنة بين ابن الأنباري وبين أبي جعفر النحاس في علوم القرآن الكريم.

وعند النظر إلى مباحث هاتين الرسالتين يتبين أنهما يختلفان اختلافًا جذريًّا عن موضوع هذا البحث، إذ غرضهما عام وقد يشيران إلى اهتمام ابن الأنباري بالقراءات وتوجيهها، لاسيما الرسالة الثانية، لكن دون استقراء وجمع لهذه المواضع أو تصنيف لها.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث ثلاثة مناهج أساسية، وهي:

أ – المنهج التاريخي: ويتمثل في ذكر ترجمة لأبي بكر ابن الأنباري بذكر اسمه ونسبه ومولده ونشأته وطلبه للعلم وشيوخه وتلاميذه ومكانته العلمية ومؤلفاته ومذهبه ووفاته.

ب– المنهج الاستقرائي: وذلك بتتبع واستقراء القراءات التي أوردها أبو بكر ابن الأنباري في كتابه (الزاهر)، وكذا أقواله في توجيهها.

ج – المنهج التحليلي: ويظهر ذلك في تصنيف تلك المواضع، وتقسيمها على الوجه الذي سأذكره في إجراءات البحث.

إجراءات البحث:

١– كتابة الآيات القرآنية على الرسم العثماني، وَفق المصحف المضبوط على رواية حفص عن عاصم، وما كان على غير تلك الرواية فيضبط بما يناسب، ومن ثَمَّ عزوها إلى موضعها في المتن بين معقوفين [ ].

٢– تخريج الأحاديث النبوية والآثار التي وردت في النص، مع عزوها إلى مصادرها، ما لم ترد في النص المنقول عن كتاب (الزاهر) فإنه يكتفى بالإحالة إليه.

٣– عزو الأبيات الشعرية لمصادرها –إن وجدت–، مع بيان موضع الاستشهاد منها، ما لم تكن في نص الزاهر، فإنه يكتفى حينها بالإحالة إليه.

٤– ضَبط النصوص، والأحاديث النبوية، والأشعار بالشكل، تسهيلاً للقارئ، ودفعًا لتوهِّم معنى غيرِ مراد.

٥– ترجمة الأعلام الوارد ذكرهم في النص، ترجمة موجزة في أول موضع مرَّ ذكره فيه، عدا مشاهير الصحابة كالخلفاء الأربعة والمبشَّرين بالجنة، والقراء العشرة، ونحوهم.

٦– توثيق أقوال المؤلف من كتابه الزاهر.

٧– إزالة الإبهام بقدر المستطاع، وكشف الغموض ما أمكن، فيما يحتاج إلى توضيح وتفسير.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس عامة:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، ومنهجية الباحث، وهيكل البحث.

تمهيد: تعريف موجز لمصطلحات عنوان البحث.

المبحث الأول: أنواع القراءات عند ابن الأنباري في كتابه (الزاهر)، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: القراءات المتواترة.

المطلب الثاني: القراءات الأربعة الزائدة عن العشرة.

المطلب الثالث: القراءات المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن بعض الصحابة والتابعين.

المطلب الرابع: القراءات التي خالفت الرسم.

المبحث الثاني :منهج ابن الأنباري في عرض القراءات، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مصادره في القراءات.

المطلب الثاني: المصطلحات المستعملة في القراءات.

المطلب الثالث: كيفية إيراد القراءات، ونسبتها.

المطلب الرابع: موقفه من القراءات الواردة في كتابه من حيث القبول والرد.

المبحث الثالث: منهجه في توجيه القراءات الواردة في كتابه (الزاهر)، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مصادره في توجيه القراءات.

المطلب الثاني: طريقة عرض التوجيه.

المطلب الثالث: أنواع التوجيه الواردة في كتابه.

*ثم الخاتمة: وتشتمل على أبرز النتائج والتوصيات.

* ويليها الفهارس العلمية، وتحتوي على:

- فهرس المصادر والمراجع.

وأرجو أن يكون عملي هذا خالصًا لله تعالى، سائلًا النَفعَ به، ومِن الله الصواب، وإليه المرجع والمآب.

التمهيد

تعريف موجز لمصطلحات عنوان البحث

أولًا: التعريف بأبي بكر ابن الأنباري.

هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بَيَان بن سَمَّاعه بن فَرْوة أبو بكر ابن الأنباري.(١)

كانت ولادته شهر رجب سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م(٢) بالأنبار العراقية .(٣)

وأما عن نشأته وطلبه للعلم فقد نشأ في بيت علم إذ كان والده (٤)من كبراء علماء الكوفة في عصره، وقد ورد بغداد وهو صغير، فنشأ بها وتعلم فأخذ القراءات والحديث عن البغداديين والأدب والعربية عن أبيه، وثعلب(٥)،

---

(١) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: (٤/ ٢٩٩)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي: (٢٠١/٣)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي: (٢١٢/١).

(٢) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: (٤/ ٢٩٩)، معجم الأدباء، لياقوت الحموي: (٢٦١٨/٦)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي: (٢٠١/٣)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي: (٢١٤/١).

(٣) مدينة على الفرات غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ. ينظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي: (٢٥٧/١).

(٤) القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن أَبُو مُحَمَّد الأنباري، وكان صدوقا، أمينا، عالما بالأدب، موثقا في الرواية، وله من التصانيف: كتاب خلق الإنسان، كتاب خلق الفرس، كتاب الأمثال، كتاب المقصور والممدود، مات في صفر سنة خمس وثلاثمائة. ينظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: (١٤/ ٤٤٦)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي: (٣/ ٢٨).

(٥) أبو العباس ثعلب أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني مولاهم المعروف بثعلب إمام الكوفِيين فِي النحو واللغة في زمانه، وكان ثقة دينًا مشهورًا بصدق اللهجة والمعرفة بالغريب، ورواية الشعر القديم، مقدمًا بين الشيوخ وهو حدث، توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين، تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: (٦/ ٤٤٨)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات الأنباري، ص: (١٧٣– ١٧٦).

وإبراهيم الحربي[١]، وطائفة من أهل العلم.[٢]

ثم بدأ وهو شاب يملي في ركن من المسجد ولأبيه ركن آخر فصار ندًّا لأبيه منذ شبابه[٣]، وكان أفضل من أبيه وأعلم.[٤]

وقد ذكرت الروايات أنه كان يملي في سنة إحدى وثلاث مائة[٥]، فذاعَ صِيته بين الناس وكثر التلاميذ فأخذوا ينسخون عنه مصنفاته وأماليه، وبرز كثير من هؤلاء لغويين ونحويين وقراء ومفسرين ورواة شعر وأخبار[٦]، ومن هؤلاء المشهورين[٧]: عبيد الله بن أحمد المقرئ المعروف بابن البوَّاب، وأبو الحسن

---

(١) إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير أبو إسحاق الحربي، كان إماما في العلم، رأسا في الزهد، عارفا بالفقه، بصيرا بالأحكام، حافظا للحديث، مميزا لعلله، قيما بالأدب، جماعا للغة، وصنف كتبا كثيرة منها: غريب الحديث، مات ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين. ينظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: (٦/ ٥٢٢)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي: (١/ ١٩٠).

(٢) ينظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: (٤/ ٢٩٩)، طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى: (٢/ ٧٠، ٧١)، معجم الأدباء، لياقوت الحموي: (٦/٢٦١٥-٢٦١٧)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي: (٣/٢٠٣، ٢٠٤)، سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٥/ ٢٧٤، ٢٧٥)، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، لعادل نويهض: (٢/ ٦٠٤)، مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرابع الهجري، لمحمد الشيخ عَليُو محمد، ص: (٣٦٠).

(٣) إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي: (٣/ ٢٠٢).

(٤) الفهرست، لابن النديم، ص: (١٠١).

(٥) إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي: (٣/ ٢٨).

(٦) ابن الأنباري، سيرته ومؤلفاته، لحاتم صالح الضامن، ص: (١١).

(٧) ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري: (١/ ٢٤)، تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: (٤/ ٢٩٩)، طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى: (٢/ ٦٩)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي: (٣/ ٢٠٢)، وفيات الأعيان، لابن خلكان: (١/ ١٠٠)، (٣/ ١٣٦)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي، ص: (١٥٩)، غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري: (٢/ ٢٣٠، ٢٣١).

الدارقطني[١]، وأحمد بن عبد العزيز بن بُدْهن المقرئ أبو الفتح البغدادي[٢]، وإسماعيل بن القاسم أبو علي القالي[٣] ، والحسين بن أحمد بن خالويه [٤]، ومحمد بن أحمد الأزهري[٥] ، وأبو جعفر النحَّاس[٦] ، وأبو القاسم الزجاجي.[٧]

ولما طار صِيته ببغداد استدعاه الراضي بالله[٨] إلى سامَراء [٩]لتأديب أبنائه، فرحل إليها، وبقي هناك مدة صاحب فيها الخليفة، ثم رجع إلى بغداد، ولازم حلقته حتى توفي ببغداد.[١٠]

وكانت مجالسه تعقد في أيام معلومة، فقد ذكر أبو علي القالي[١١] أنه كان يقرأ على أبي بكر الغريب المصنف[١٢] والألفاظ[١٣] في يوم الثلاثاء من كل

---

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٦/ ٤٩٩).
(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي: (٨/ ١٣٣).
(٣) المصدر السابق: (٨/ ١٣٣).
(٤) وفيات الأعيان، لابن خلكان: (٢/ ١٧٩).
(٥) نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات ابن الأنباري، ص: (٢٣٨).
(٦) إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي: (١/ ١٣٩).
(٧) وفيات الأعيان، لابن خلكان: (٣/ ١٣٦).
(٨) محمد أمير المؤمنين الراضي بالله بن جعفر المقتدر بالله بن أحمد المعتضد بالله العباسي يكنى أبا العباس، استخلف بعد عمه أبي منصور الملقب بالقاهر، كانت خلافته ست سنين، له فضائل منها: أنه آخر خليفة خطب يوم الجمعة، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش، وكان سمحًا جوادا أديبا فصيحا محبا للعلماء، توفي سنة تسع وعشرين وثلاثمائة. ينظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: (٢/ ٥٢٠)، سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٥/ ١٠٣).
(٩) لغة في سرّ من رأى: مدينة بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة. ينظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي: (٣/ ١٧٣).
(١٠) إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي: (٢٠٣/٣).
(١١) أبو علي إسماعيل بن القاسم بن هارون بن عيذون القالي البغدادي، أصله من إقليم أرمينية، الإمام الفاضل، الراوي النحوي اللغوي العلّامة، تحول إلى الأندلس، ونشر بها علمه توفي بقرطبة في ربيع الآخر سنة ست وخمسين وثلاثمائة. ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي: (١/ ٢٣٩)، سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٦/ ٤٥، ٤٦).
(١٢) لأبي عبيد القاسم بن سلام.
(١٣) لابن السكيت.

أسبوع[١]، وقد ذكر الدارقطني[٢] أنه كان يملي في يوم الجمعة أيضًا[٣]. ونعته ابن الجزري[٤] بالإمام الكبير والأستاذ الشهير.[٥]

فقد تنوعت مؤلفاته وتعددت العلوم التي ألَّف فيها وخلَّف لنا كتبًا كثيرة في علوم القرآن والحديث واللغة والنحو والأدب، منها: الزاهر في معاني كلمات الناس وهو محل الدراسة هنا في هذا البحث، وله في علم القراءات؛ إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله[٦]، مرسوم الخط، نقض مسائل ابن شنبوذ. [٧]

(١) فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص: (٢٩٦).

(٢) علي بن عمر بن أحمد بن مهدى أَبُو الحسن الحافظ الدارقطني، كان إمام وقته، انتهى إليه علم الأثر، والمعرفة بعلل الحديث، وأسماء الرجال، مع الصدق والأمانة، والثقة والعدالة، وصحة الاعتقاد، وسلامة المذهب، توفي الدارقطني، سنة خمس وثمانين وثلاثمائة. ينظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: (١٣/ ٤٨٧)، سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٦/ ٤٤٩).

(٣) معجم الأدباء، لياقوت الحموي: (٦/ ٢٦١٥).

(٤) هو محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف أبو الخير الدمشقي ثم الشيرازي، الشافعي المقرئ، قاضي القضاة بدمشق وببلاد شيراز شمس الدين المعروف بابن الجزري، له تصانيف مفيدة كالنشر فِي القراءات العشر، وطيبة النشر فِي القراءات العشر فِي ألف بيت، مات سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة بشيراز. ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي: (٩/٢٥٥)، وطبقات الحفاظ، للسيوطي، ص: (٥٤٩).

(٥) غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري: (٢/ ٢٣١).

(٦) قال ابن الجزري: كتابه في الوقف والابتداء أول ما ألف فيه وأحسن، وقال ابن مجاهد عندما نظر في هذا الكتاب: لقد كان في نفسي أن أعمل في هذا المعني كتابًا وما ترك هذا الشاب لمصنف ما يصنف. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري: (٢/ ٢٣١).

(٧) ينظر: الفهرست، لابن النديم، ص: (١٠٢)، معجم الأدباء، لياقوت الحموي: (٦/ ٢٦١٨)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي: (٣/ ٢٠٨).

توفي ليلة النحر من ذي الحجة من سنة ٣٢٨هـ/٩٤٠م، ببغداد[١] ودفن في داره، عن سبع وخمسين سنة .[٢]

ثانيًا: التعريف بكتابه (الزاهر).

هذا الكتاب سماه مؤلفه باسم (الزاهر)[٣] ، أو (الزاهر في معاني كلمات الناس)، أو (الزاهر في معاني الكلام الذي يستعمله الناس)، أو (الزاهر في معاني الكلمات التي يستعملها الناس)[٤] ، أو (الزاهر في اللغة) .[٥]

فإن هذا السفر أحد الكتب الجامعة الكبار، دوّن فيه مؤلفه معاني الكلام الذي يستعمله الناس في صلواتهم ودعائهم وتسبيحهم وتقربهم إلى ربهم.

وفسّر ذلك كله؛ ليكون المصلي إذا نظر فيه، عالما بمعنى الكلام الذي يتقرَّبُ به إلى خالقِهِ، ويكون الداعي فَهِما بالشيء يسأله ربُّه، ويكون المسبِّحُ عارفاً بما يعظّم به سيِّدَه سبحانه وتعالى.

ولم يقف عند هذه المعاني بل أتْبع ذلك تبيينَ ما تستعمله العوامُ في أمثالها ومحاوراتِها من كلامِ العرب، وهي غيرُ عالمةٍ بتأويلِهِ، مع بيان اختلاف العلماء في تفسيره وشواهد ذلك من القرآن والحديث والشعر.

---

(١) ينظر: الفهرست، لابن النديم، ص: (١٠١)، تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: (٤/ ٢٩٩)، طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى: (٢/ ٧٢)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لابن الجوزي: (١٣/ ٤٠٢)، معجم الأدباء، لياقوت الحموي: (٦/ ٢٦١٨)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي: (٣/ ٢٠٧)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي، ص: (١٦٠)، سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٥/ ٢٧٨)، الوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي: (٤/ ٢٤٥)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، للفيروزآبادي، ص: (٢٨٣)، غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري: (٢/ ٢٣١).

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٢٧٨/١٥)، طبقات الحفاظ، للسيوطي، ص: (٣٥١).

(٣) كذا في أغلب النسخ، وهو الذي مال إليه محقق الكتاب. ينظر: الزاهر (٤١/١).

(٤) التسميات الثلاثة في بعض النسخ الخطية. ينظر مقدمة المحقق (٤١/١).

(٥) ذكره الفيروزآبادي في: البلغة في تاريخ أئمة اللغة (ص: ٢٤٤).

ولم يُخْلِه مما يستحسنُ إدخالُهُ فيه من النحو والغريبِ واللغةِ والمصادر والتثنية والجمعِ.

هذا خلاصة ما ذكره المؤلف عن كتابه رحمه الله في صدر مقدمته.[1]

والحاصل أن هذا الكتاب سفر نفيس يعرض الأمثال والأقوال والأحاديث وما يردده الناس في دعواتهم وصلواتهم، فهو يشرح القول والمثل وغريب المفردات..

ويستشهد لذلك كله بالآيات المتواترة والشاذة وكذلك الأحاديث وأشعار العرب.

ويعرض للظواهر اللغوية ويحكي أقوال البصريين والكوفيين دون تحيُّزٍ، بل يتخير من المذهبين ما أدى إليه اجتهاده وبحثه.

سالكًا في ذلك كله مسلك التحليل والمناقشة والتحرير، ومن ثمّ الترجيح في كثير من القضايا اللغوية والنحوية، وقضايا التفسير والحديث، فكانت له شخصيته البارزة في الكتاب.

وقد جمع بين دفتيه تفسير وبيان (٨٤٥) مفردة، سواء كانت جملة أو لفظًا مفردًا، مما عُنْوِن له في رؤوس المسائل، فضلًا عن الكلمات التي يرد شرحها تحت تلك العناوين وفي ثناياها.

ثالثًا: التعريف بالقراءات، وتوجيه القراءات.

القراءات جمع قراءة، والقراءة مصدر سماعي لـ(قرأ)، تقول: قرأ يقرأ قراءة، وقرآنًا، وقرءًا، والقُرْء في اللغة الجمع والضم، تقول قرأت الماء في الحوض: إذا جمعته .[2]

وسمِّيت القراءة بذلك؛ لأن القارئ يجمع الحرف مع الحرف فيكوِّن كلمة، والكلمة مع الكلمة فتكوِّن جملة، والجملة مع الجملة. فهو يقرأ يعني يجمع ذلك كله.[3]

---

(١) ينظر: الزاهر لابن الأنباري (٩٥/١).
(٢) لسان العرب (قرأ): (١٣١/١).
(٣) دراسات في علوم القرآن»: (ص: ٣١٤).

وهي في اصطلاح أهل الفن: مذهب من مذاهب النطق بالقرآن الكريم؛ يذهب إليه إمام من أئمة القراء، يخالف به غيره، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها.(١)

وعلم القراءات عرَّفه ابن الجزري (ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م) بأنه: «علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعَزْو الناقلة».(٢)

فموضوع علم القراءات إذن، كلمات القرآن الكريم من حيث أحوال النطق بها، وكيفية أدائها.

وأما علم (توجيه القراءات) فيمكن أن يعرف بتعريفين، أحدهما: باعتباره مركَّبا إضافيًّا، والآخر باعتباره لقبًا أو عَلَمًا على هذا الفنّ.

أما التعريف الأول باعتباره مركبًا إضافيًّا فيقتضي إيضاح المراد بجُزْأَيِ الإضافة، وهما: (توجيه) و(القراءات).

أما التوجيه فهو مصدر مأخوذ من وَجَّهَ يُوجِّهُ. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ [النحل: ٧٦] ، ومنه: وجَّهْتُ الشيءَ إذا جعلتهُ على جِهَةٍ، ووجَه السُّدفة ـ أي: الحجاب ـ: كَشَفه وأزاله.(٣)

يقال في المَثَل: «وجِّهِ الحَجَر وجْهَةٌ مّا لَه، أو: وجهًا مّا له»، أي: دبِّر الأمر على وجهه الذي ينبغي، وهو مَثَلٌ يُضْرب للأَمرِ إذا لم يستقم مِن جهةٍ أن يُوجِّهَ له تدبيرًا من جهةٍ أُخرى، وأَصلُ هذا في الحَجَرِ يُوضعُ في البناء، فلا يستقيمُ، فيُقلَبُ على وجهٍ آخر فيستقيم.(٤)

---

(١) مناهل العرفان: (٤١٢/١)، والمصدر السابق (ص: ٣١٤).

(٢) منجد المقرئين: (ص: ٩).

(٣) لسان العرب (وجه): (٥٥٥/١٣)، المصباح المنير (وجه): (ص: ٣٣٥).

(٤) تهذيب اللغة (وجه): (١٨٧/٦)، نهاية الأرب: (٢٢٦/١).

والواو والجيم والهاء: أصل واحد يدل على مقابلة لشيء. والوجه مُسْتَقْبِلٌ لكل شيءٍ.(١)

والمعنى المحوري الذي تدور عليه هذه المادة: مُقْتَبَلُ ملامح الشيء ومُقدَّمُه المكشوفُ الذي يُعرف به وتعرف حقيقته. كوجه البيت والكعبة والإنسان والحيوان، وكتبيُّن ما وراء الحجاب وما تحت الحصى من سطح الأرض.(٢)

وأما القراءات فقد مر تعريفها.

وأما التعريف الثاني لـ«توجيه القراءات» باعتباره لقبًا أو عَلَمًا على هذا الفنّ.

فهو «عِلْمٌ يُبحثُ فيه عن معاني القراءاتِ والكشفِ عن وجوهِها في العربية، أو الذهاب بالقراءة إلى الجهة التي يتبيَّنُ فيها وجهُها ومعناها».(٣)

ولعلم «توجيه القراءات» إطلاقات وأسماء أخرى مقاربة له من جهة المعنى، والمقصود منها راجع إلى معنى واحد.(٤)

---

(١) مقاييس اللغة (وجه): (٨٨/٦).

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل (وجه): (٣٤٧/١).

(٣) توجيه مشكل القراءات العشرية: (ص: ٦٥)، وينظر: القراءات القرآنية د. عبد الحليم قابة: (ص: ٣٠).

(٤) الشاهد الشعري في تفسير القرآن: (ص: ٧٦٢)، والتسميات الواردة بعدُ مع أمثلتها مستفادة منه، مع إضافة واختصار.
ومن الكتب المؤلفة باسم توجيه القراءات «الجمع والتوجيه لما انفرد به الإمام يعقوب بن إسحاق الحضرمي». انظر: فهرسة ابن خير (ص: ٣٨ ـ ٣٩)، وكتاب عبد الفتاح القاضي، القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب.

ومن هذه الأسماء: «الاحتجاج للقراءات»[١]، و«وجوه القراءات»[٢]، و«عِللُ القراءات»[٣]، و«إعراب القراءات»[٤]، و«معاني القراءات».[٥]

وبكلِّ اسمٍ من هذهِ الأسماءِ صُنِّفَتْ مُصنَّفاتٌ، غير أَنَّ الذي استقرَّ عليه الاصطلاح في الوقت الراهن تسميته بتوجيه القراءات.

(١) مثل الحجة في القراءات السبع للفارسي، والحجة المنسوب لابن خالويه، وحجة القراءات لابن زنجلة. ينظر: «الدليل إلى المتون العلمية: (ص: ١٢٥).

(٢) مثل كتاب ابن قتيبة وجوه القراءات، والمحتسب في تبيين وجوه القراءات لابن جني، وكتاب الكشف عن وجوه القراءات، وكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مريم نصر الشيرازي. انظر: تأويل مشكل القرآن (ص: ٦٤)، فهرسة ابن خير (ص: ٤٠).

(٣) مثل كتاب الأزهري علل القراءات، ولابن الفَتِّي، والسَّجَاونديِّ كتبٌ بِهذا العنوان أيضًا، والكشف في نكت المعاني والإعراب وعلل القراءات المروية عن الأئمة السبعة للباقولي. ينظر: خزانة التراث: (٣٠٠/٢٣).

(٤) مثل كتاب إعراب القراءات وعللها لابن خالويه، وإعراب القراءات لإسماعيل بن خلف، وإعراب القراءات الشواذ للعكبري. ينظر: خزانة التراث: (٦٥٧/١٦)، (٣٠٨/٦٣).

(٥) مثل كتاب معاني القراءات لأحمد بن قاسم اللخمي، والإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب، والمختار في معاني القراءات الثماني: لأبي بكر ابن إدريس. انظر: غاية النهاية (٩٧/١)، فهرسة ابن خير: (ص: ٣٩).

المبحث الأول

أنواع القراءات عند ابن الأنباري في كتابه (الزاهر)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: القراءات المتواترة.

اعتنى الإمام أبو بكر عناية ظاهرة بإيراد القراءات في الاستشهاد والاحتجاج، وقد أورد جملة من القراءات المتواترة، ناسبًا جلّها إلى أصحابها.

فنسب القراءة إلى نافع المدني في أربعة مواضع.

ومن ذلك: قراءة (فاسْر) حيث أورد قراءة نافع بوصل الهمزة، في سياق حديثه، عن معنى السرى، حيث قال: "سرى الرجل، وأسرى: إذا سار بالليل. قال الله تعالى: {فأَسْرِ بأهلِكَ بِقطْع من الليل} وقرأ نافع وغيره: {فاسْرِ بأهلِكَ}، فأخذه من: سريت، والذين خالفوه، وقطعوا الألف، أخذوه من: أسريت".(١)

وأما ابن كثير فلم ينسب إليه قراءة بتسمية صريحة، ولعل ذلك أنه كان يعتمد على قراءة ابن محيصن في أخذه عن المكيين، وأورد قراءته بلا نسبة في خمسة مواضع.(٢)

ونسب القراءة إلى أبي عمرو في موضعين.

وأما ابن عامر فأورد قراءته في موضعين دون تسمية(٣)، وسمّاه في مرة واحدة، وذلك في قراءة (ربوة) بفتح الراء، حيث قال: "وفيه سبعة أوجه: (رُبْوة) بضم الراء، وهو مذهب العامة. و(رِبْوة) بكسر الراء، وهو مذهب ابن عباس، ورُويَ عنه أنه

---

(١) الزاهر (٦٧/٢).

(٢) المصدر السابق (٥٦/١)، (٥١٦)، (٦٧/٢)، (١٦٤)، (٣٣٠).

(٣) المصدر السابق (٥٦/١)، (٥١٥).

كان يقرأ: {كمثلِ جَنَّةٍ بِرِبْوَةٍ}. و(رَبْوة) بفتح الراء، وهو مذهب عاصم واليحصبي".(١)

وأما قراءة عاصم فقد أوردها في موضعين(٢)، وحكى قراءته دون تسمية في ثلاثة مواضع.(٣)

وجاءت قراءة حمزة مع التصريح باسمه في موضعين(٤)، وفي ستة مواضع دون تسمية .(٥)

وكذا الكسائي، حيث أورد له القراءة دون تسمية في ستة مواضع(٦)، وسماه في موضعين(٧)، أحدهما: قراءته بكسر العين في (نَعِم) حيث قال:

"وفي " نعم " لغتان: "نَعَمَ"، بفتح العين و " نَعِم "، بكسر العين. قرأ الكسائي وغيره: {قالوا نَعِم}.(٨)

كما احتج الإمام أبو بكر الأنباري بالقراءات السبعة؛ فإنه استشهد أيضًا بالقراءات الثلاثة المتممة لها. فنقل قراءة أبي جعفر في أربعة مواضع، بلا نسبة في موضعين منها(٩)، ومصرّحًا باسمه في موضعين آخرين(١٠)، أحدهما قراءته

(١) المصدر السابق (٣٤٣/١).
(٢) المصدر السابق (١٤٤/١)، (٣٤٣).
(٣) المصدر السابق (٥٦/١)، (٥١٦)، (٥/٢).
(٤) المصدر السابق (١٤٤/١)، (١٩٦).
(٥) المصدر السابق (٥٦/١)، (٢٤٣)، (٣٣٩)، (٥١٦)، (٥/٢)، (٢٨٥).
(٦) المصدر السابق (٥٦/١)، (٢٤٣)، (٥١٦)، (١٢١/٢)، (١٩٤)، (٢٨٥/٢).
(٧) المصدر السابق (١٤٤/١)، (٥١/٢).
(٨) الزاهر (٥١/٢).
(٩) المصدر السابق (١٢/١)، (١٩٤/٢).
(١٠) المصدر السابق (١٤٤/١)، (٣١٠).

(مفرِّطون) بتشديد الراء. قال ابن الأنباري: "وقرأ نافع: {وأنهم مُفْرِطون} ، بكسر الراء. وقرأ أبو جعفر: {وأنهم مُفَرِّطون}".[١]

ولم يحكِ عن يعقوب قراءة له، لكن أورد عنه ما نقله عن غيره، حيث قال: "وقال يعقوب الحضرمي قرأ بعض القراء: {عَدُوّا}، بفتح العين وضم الدال وتشديد الواو، على معنى: أعداء، فاكتفى بالواحد من الجمع".[٢]

وكذا لم يورد عن خلف العاشر قراءة مصرّحًا باسمه، لكن حكى قراءة (عجبتُ)، وهي للكوفيين غير عاصم[٣]. كما جاء ذكره في بعض أسانيده.[٤]

المطلب الثاني: القراءات الأربعة الزائدة عن العشرة.

تقدم الحديث عن القراءات السبعة والعشرة، وأما القراءات الأربعة الزائدة عن العشرة، فهي قراءة: الحسن البصري (ت١١٠هـ)، ومحمد بن عبد الرحمن المعروف بابن محيصن (ت١٢٣هـ)، وسليمان بن مهران الأسدي، المعروف بالأعمش (ت١٤٨هـ)، ويحيى بن المبارك اليزيدي النحوي (ت٢٠٢هـ).

وبالنظر في كتاب الزاهر؛ فإنه لم يَخْلُ من الاستشهاد بهذه القراءات، باستثناء قراءة اليزيدي التي ليس لها ورود عند الأنباري في هذا الكتاب.

فقراءة الحسن وردت في أربعة عشر موضعًا[٥]، منها قوله: "وقَرأ الحسن: (التوراة والأَنجيل) بفتح الألف، فجعله أعجميًّا؛ لأنه ليس في أبنية العرب اسم على هذا المثال".[٦]

---

(١) المصدر السابق (٣١٠/١).

(٢) المصدر السابق (٤٢١/١).

(٣) المصدر السابق (٢٨٥/٢).

(٤) المصدر السابق (٢٠٦/٢، ٣٥٩)،

(٥) المصدر السابق (٥/١)، (٧٤)، (١٩٧)، (٢١٦)، (٢٥١)، (٣٧١)، (٣٧٧)، (٣٨٣)، (٤٠٤)، (٤١٩)، (٤٥٧)، (٥٠٨)، (٣١/٢)، (١٦٩).

(٦) الزاهر (٧٤/١).

وقوله: "وقرأ الحسن: (ربِّيون) بضم الراء، وقرأ بها غيره، وقال: الربيون: نسبوا إلى الرُّبَّة، والربة: عشرة آلاف".(١)

وأما قراءة ابن محيصن فأوردها في موضعين، أحدهما صرح باسمه وذلك في قراءة: (تُهجرون)، قال: "وقرأ ابن محيصن وغيره: {تُهجِرون}، بضم التاء، أي: تتكلمون بالكلام القبيح. يقال: قد أهجر الرجل: إذا تكلم بالكلام القبيح، وهو مأخوذ من الهُجْر، بضم الهاء" .(٢)

والآخر أورده دون نسبة.(٣)

وقراءة الأعمش وردت في خمسة مواضع(٤)، منها قراءة (عُمْرًا)، قال: "وفيه ثلاث لغات: عُمُر، بضم العين والميم، وعُمْر، بضم العين وتسكين الميم، وعَمْر، بفتح العين وتسكين الميم. قال الله عز وجل: {فَقَدْ لَبِثْتُ فِيْكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ}، ويُروى عن الأعمش: {عُمْراً من قبله}" .(٥)

وأما قراءة اليزيدي فلم يجر لها ذِكر في هذا الكتاب.

---

(١) المصدر السابق (١٩٧/١).

(٢) المصدر السابق (٣٦٣/١).

(٣) المصدر السابق (٢٨/٢).

(٤) المصدر السابق (٨٢/١، ١٤٤، ١٩٦، ٣٩٠)، (٢٨٦/٢).

(٥) المصدر السابق (٣٩٠/١).

المطلب الثالث: القراءات المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن بعض الصحابة والتابعين.

قراءات النبي ﷺ هي القراءات التي تروى بالإسناد إلى النبي ﷺ على نهج الرواة المحدثين، وليس معنى هذه النسبة أنها وحدها المأثورة عن النبي ﷺ وغيرها من القراءات غير مأثورة، بل جميع القراءات المتواترة كلها متواترة ومرفوعة إلى النبي ﷺ على أن ما يروى من هذا النوع من القراءات لا تجوز القراءة به إذا كان مخالفاً للقراءات المتواترة أو بعضها، حتى ولو كان في صحيح البخاري؛ لأن ما كان مخالفاً للقراءات المتواترة فهو من قبيل المنسوخ أو الشاذة.(١)

والإمام ابن الأنباري قد نقل في هذا الكتاب قراءة النبي ﷺ في موضع واحد مصرحًا بذلك، وذلك في قوله: "وقوله: على قَفَيَّ، هذه لغة طيىء، يقولون: هذه عَصَيَّ ورَحَيَّ، يريدون: عصايَ ورحايَ. قرأ ابن أبي إسحاق: {هذه عَصَيَّ أتوكأُ عليها}، وقرأ النبي: {فَمَنْ تَبِعَ هُدَيَّ فلا خوفَ عليهم}".(٢)

وأورد قراءتين نسبهما إلى الحسن، وهما في المصادر منسوبتان إلى النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا:

إحداهما: وقرأت العوام: {ورِيْشًا}. وقرأ الحسن {ورِيَاشًا}". وقراءة الحسن هذه منسوبة إلى النبي ﷺ .(٣)

والأخرى: قوله: " ويُروى عن الحسن أنه قرأ: {إنّا أنطيناك الكوثر} بالنون" .(٤)

وذكر الإمام ابن الأنباري قراءة عدد من الصحابة، كابن عباس وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، لإبراهيم الدوسري (ص: ٩٥).

(٢) الزاهر (٢٨٧/١ ـ ٢٨٨).

(٣) المصدر السابق (٢٥١/١)، وينظر: المحتسب (٢٤٦/١).

(٤) المصدر السابق (٣٨٣/١)، وينظر: الشواذ للصاغاني (ص: ١٨١).

وذَكَر أيضًا من قراءات الخلفاء الراشدين قراءةَ عمر بن الخطاب في موضعين[١]، وقراءة علي بن أبي طالب دون نسبة إليه في موضع واحد، حيث قال: "وقوله: {لقد جئتم شيئاً إدّاً} معناه: داهية عظيمة، يقال: (أَدَّ الأمر يؤدُّ إدًّا) إذا عظُم. وقرأ السُّلمي: {لقد جئتم شيئاً أدًّا}". وهي قراءة علي أيضًا.[٢]

ومن أمثلة إيراده قراءة الصحابة المروية عنهم وعن مصاحفهم:

– (الحيّ القيّام) وهي قراءة عمر بن الخطاب وفي مصحف ابن مسعود (الحي القيّم)، قال رحمه الله: "وفي القيوم ثلاث لغات: (القيّوم). و(القيّام) وبه قرأ عمر بن الخطاب. و(القيّم) وكذلك هو في مصحف ابن مسعود، وروي عن علقمة".[٣]

– (وإن خفتم عائلة) وهي قراءة ابن مسعود ﷺ، قال رحمه الله: "وقولهم: (قد عِيلَ صَبْرِي) قال أبو بكر: معناه: قد غُلِب صبري. يقال: قد عالني الأمر يعولني عولاً. إذا غلبني. قرأ عبد الله بن مسعود: {وإنْ خِفْتُم عائلةً فسوفَ يغنيكُمُ اللهُ من فضلِهِ} معناه: وإنْ خفتم خصلة تعولكم وتغلبكم".[٤]

– (ذِرِّيَّة من حملنا) بكسر الذال، وهي قراءة زيد بن ثابت، قال: ومن العرب مَنْ يكسر الذال فيقول: هؤلاء ذِرِّيَّة فلان، قال الله عز وجل: {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مع نوح}، وقرأ زيد بن ثابت: {ذِرِّيَّةَ منْ حَمَلْنا مع نوح}، وقرأ بعض القراء: {ذَرِيَّة مَنْ حَملنا مع نوح}، بفتح الذال وتخفيف الراء. فأخرجها مخرج: البَرِيّة".[٥]

ومما استشهد به الإمام ابن الأنباري القراءات المروية عن التابعين، وقد نقل قراءة عدد من التابعين ـ غير (الحسن وابن محيصن والأعمش) الذين تقدمت

(١) المصدر السابق (٩٠/١)، (١٢١/٢).
(٢) المصدر السابق (١٢٧/٢)، وينظر: الشواذ (ص: ٨٦).
(٣) الزاهر (٩٠/١).
(٤) المصدر السابق (١٤٠/١).
(٥) المصدر السابق (١١٥/٢).

قراءتهم في الأربعة الزوائد على العشرة ـ كمثل سعيد بن جبير، والأعرج، وعلقمة بن قيس النخعي، وغيرهم.

ومن أمثلة ذلك:

- (وهو شديد المَحال) بفتح الميم. قال رحمه الله: "وإذا قالت العرب للرجل: ماله محال، بفتح الميم، فمعناه: ما للرجل حول. قال: ويروى عن الأعرج أنه قرأ: (وهو شديد المحال) بفتح الميم. وتفسير ابن عباس يدل على الفتح، لأنه قال: المعنى: وهو شديد الحول".(١)

- (أحسن أثاثًا وزيًّا) بالزاي، قال رحمه الله: "وقرأ سعيد بن جبير: {أحسنُ أثاثاً وزيّاً} بالزاي، وهو من قول العرب: زيٌّ فلان جميل: يريدون هيئته".(٢)

المطلب الرابع: القراءات التي خالفت الرسم.

شروط القراءة المقبولة ثلاثة: وهي التواتر أو الشهرة، وموافقة الرسم العثماني ولو احتمالًا، وموافقة اللغة العربية ولو بوجه، وإن فات القراءةَ شرطٌ من هذه الشروط فهي قراءة شاذة.

وقد تنوعت القراءات التي أوردها ابن الأنباري في كتاب (الزاهر) بالنظر إلى موافقة الرسم أو مخالفته إلى ثلاث صور:

الأولى: ما وافق الرسم تحقيقًا، وهو الأعم الأغلب.

ومن أمثلته: (وادّكر بعد أمّة)، و (وادّكر بعد أَمَهٍ)، قال رحمه الله: "وتكون الأمّة: الزمان؛ كما قال: {وادّكر بعد أمة}، وكما قال: {ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة}، وقرأ ابن عباس: {وادّكر بعد أَمَهٍ}، أي بعد نسيان".(٣)

الثانية: ما وافق الرسم تقديرًا واحتمالًا، وهو كثير.

---

(١) المصدر السابق (١٠/١).

(٢) المصدر السابق (٤٦/٢).

(٣) الزاهر (١٠/١).

ومن أمثلته: (وعزني في الخطاب)، (وعازني في الخطاب) فإن قراءة غير الألف موافقة للرسم تحقيقًا، والألف وافقت الرسم تقديرًا. قال رحمه الله: "قال الله عز وجل: (وعزَّني في الخطابِ) فمعناه: غلبني في الخطاب. ويقرأ: (وعازَّني في الخطاب) على معنى: وغالبني" .[١]

الثالثة : ما خالف الرسم، وقد نبه رحمه الله على موضع واحد من ذلك، وهو قراءة (تفكنون) بالنون. حيث قال رحمه الله: "وقال جماعة من أهل العلم: معنى قوله: {فَظَلْتُمْ تَفَكَّهونَ}: فظلتم تعجَّبون مما لحقكم في زرعكم.

ويقال: قد تفكّه الرجل يتفكّه: إذا تندّم. وعُكْل تقول: تفكّن يتفكّن بالنون. من ذلك قوله عز وجل: {فَظَلْتُم تَفَكَّهونَ} معناه: فظلتم تندمون. وقرأ أبو حرام العُكْلي: فظَلْتُم تَفَكَّنون.

قال أبو بكر: ولا يجوز لأحد أن يقرأ بهذه القراءة لأنها تخالف المصحف".[٢]

ومن أمثلة القراءات المخالفة للرسم:

قراءة: (ولأرقصوا خلالكم)، موضع (ولأوقصوا).

قال رحمه الله: "قال أبو بكر: معنى الرقص في اللغة: الارتفاع والانخفاض. يقال: قد أرقص القوم في سيرهم: إذا كانوا يرتفعون وينخفضون. قرأ عبد الله بن الزبير: {ولأرقصوا خلالكم} بالراء والقاف والصاد.

---

(١) المصدر السابق (٧٨/١).

(٢) المصدر السابق (١٦٠/١).

المبحث الثاني

منهج ابن الأنباري في عرض القراءات

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مصادره في القراءات.

تنوعت مصادر ابن الأنباري التي اعتمد عليها في إيراد القراءات المختلفة، فلم يقتصر عند ذكر التراجم المختلفة في القراءات على علماء القراءات فحسب، بل كان ينقل عن أئمة التفسير واللغة والأدب.

وهذه قائمة بأسماء العلماء الذين أفاد منهم ابن الأنباري في علم القراءات إيرادًا وتوجيهًا، على سبيل المثال لا الحصر:

من الصحابة: عبد الله بن عباس، جابر بن عبد الله، عبد الله بن مسعود، أبو هريرة، أم سلمة، عائشة بنت أبي بكر الصديق.

ومن التابعين ومن بعدهم: عكرمة مولى ابن عباس[١]، مقاتل بن سليمان[٢]، سعيد بن جبير، أبو مالك غزوان الغفاري[٣]، الحسن البصري، سعيد بن المسيب، علقمة بن قيس النخعي[٤]، سليمان بن مهران الأعمش، شريح القاضي[٥]، إبراهيم الحربي[٦]، أبو عمرو بن العلاء[٧]، عيسى بن عمر[٨]، هارون بن موسى

(١) ترجمته في تاريخ دمشق (٤١/٧٢).
(٢) ترجمته في سير أعلام النبلاء (٧/٢٠١).
(٣) ترجمته في: تاريخ الإسلام (٢/١١٥٥).
(٤) ترجمته في تذكرة الحفاظ (١/٤٥).
(٥) ترجمته في سير أعلام النبلاء (٤/١٠٠).
(٦) ترجمته في تاريخ الإسلام (٦/٧٠٣).
(٧) ترجمته في: معرفة القراء الكبار للذهبي (ص: ٥٨).
(٨) ترجمته في: غاية النهاية لابن الجزري (١/٦١٣).

الأعور[١]، يونس بن حبيب، أبو عبد الرحمن الضبي[٢]، سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر[٣]، يحيى بن المبارك اليزيدي[٤]، أبو زيد الأنصاري، سعيد بن أوس[٥]، الأخفش، سعيد بن مسعدة[٦]، الأصمعي، عبد الملك بن قريب[٧]، أبو حاتم السجستاني، سهل بن محمد[٨]، أبو عثمان المازني، بكر بن محمد بن عثمان[٩]، أبو عبيدة، معمر بن المثنى[١٠]، الفراء، يحيى بن زياد.[١١]

فهؤلاء هم أصحاب المصادر التي اعتمدها ابن الأنباري في نقل القراءات.

وإليك بعض النقولات التي حكاها المصنف عنهم:

– "قال أبو بكر: الجاسوس معناه في كلام العرب: المتجسس الباحث عن أمور الناس. يقال: تجسَّس الرجل وتحسَّس بمعنى واحد. هذا إجماع أهل اللغة.

وقد فرّق بين: التجسس والتحسس يحيى بن أبي كثير فقال: "التجسس: البحث عن عورات الناس، والتحسس: الاستماع لأحاديث الناس.

قال أبو بكر: وسمعت إبراهيم الحربي يحكي هذا عن محمد بن الصباح عن الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن يحيى. قال: وسمعت إبراهيم يقول: أخبرنا

---

(١) ترجمته في غاية النهاية (٣٤٨/٢).

(٢) ترجمته في غاية النهاية (٤٠٦/٢).

(٣) ترجمته في غاية النهاية (٦٠٢/١).

(٤) ترجمته في معرفة القراء الكبار (ص: ٩٠).

(٥) ترجمته في غاية النهاية (٣٠٥/١).

(٦) له ذكر في غاية النهاية (٣٢٩/١).

(٧) ترجمته في غاية النهاية (٤٧٠/١).

(٨) ترجمته في معرفة القراء الكبار (ص: ١٢٨)، غاية النهاية (٣٢٠/١).

(٩) ترجمته في غاية النهاية (١٧/١).

(١٠) ترجمته في معجم الأدباء (١٥٤/١٩).

(١١) ترجمته في غاية النهاية (٣٧١/٢).

الأثرم عن أبي عبيدة أنه قال: التجسس والتحسس واحد، يقال: رجل جاسوس وناموس بمعنى.

قال إبراهيم: قول أبي عبيدة: جاسوس وناموس، بمعنى، لا أعرفه. قال والناموس عندي: صاحب سر الملك، يقال: قد نَمَسَ ينمُسُ نَمْساً، ونامسته منامسةً.

قال إبراهيم: وكان أكثر القراء يقرأون :{ولا تَجَسَّسُوا} بالجيم.[1]"

- "وقرأ أبو قلابة: {مَنِ الكذّابُ الأَشَرُّ}. بفتح الألف والشين، وتشديد الراء وضمها. وهذا غير مستعمل في كلامهم، لأنهم يستعملون حذف الألف من هذا فيقولون: فلان شَرٌّ من فلان، وفلان خيْرٌ من فلان، ولا يكادون يقولون: فلانَ أشرُّ من فلان، وفلان أخيرُ من فلان".[2]

المطلب الثاني: المصطلحات المستعملة في القراءات.

من خلال تتبع القراءات التي أوردها ابن الأنباري في كتابه نجده قد استعمل مصطلحات متنوعة عند إيراده القراءات القرآنية المختلفة، وكذا عند ضبطها، وعزوها إلى من قرأ بها.

ويمكن أن تقسم هذه المصطلحات إلى قسمين:

القسم الأول: مصطلحات تتعلق بأصحاب القراءة، وهو على نوعين:

أحدهما: مصطلحات عامة لا تختصّ بأحد معين من أصحاب القراءة.

الثاني: مصطلحات خاصة تتعلق ببعض أصحاب القراءة.

القسم الثاني: مصطلحات تتعلق بالقراءة ذاتها.

أما ما كان عامًّا في القسم الأول فقد استعمل فيه المصنف المصطلحات الآتية:

---

(١) الزاهر (٣٦٩/١).

(٢) المصدر السابق (٣٧٥/١).

- بعض القراء.
- بعضهم.
- قراءةُ القراء.
- أكثر القراء.
- جماعة القراء.
- سائر القراء.
- العامة.
- العوام.

والذي يظهر أنه لا يقتصر إطلاقه لهذا المصطلح الأخير (العامة) على اتفاق السبعة أو العشرة؛ إذ قد يطلقه في حال اختلاف السبعة أنفسهم، مشيرًا به إلى قراءة جلّ القراء السبعة أو العشرة، كما سيأتي التمثيل عليه.

ومن الأمثلة على ذلك:

قوله: "قال أبو بكر: وقال الخليل: يقال رجل عفر بين العفارة: إذا وصف بالشيطنة، والجمع: أعفار. قال: ويقال أيضا: العفر: الكيس الظريف.

ويقال للشيطان: عفريت وعفرية وعفارية. قال الله عز وجل: {قال عفريت من الجن}. وقال السجستاني: قرأ بعض القراء: {قال عفرية من الجن}".(١)

وقوله: "ويقال: نأشت أَنأَش نأشاً: أي تأخّرت. من ذلك قراءة القُراء: {وأنى لهم التناؤشُ من مكان بعيد}، قال الفراء: التناؤش: التأخر".(٢)

وقوله: "قال إبراهيم: وكان أكثر القراء يقرأون: {ولا تَجَسَّسُوا} بالجيم. وحدثنا إبراهيم قال: حدثنا يحيى بن خلف عن المعتمر عن أبيه قال: قرأ الحسن: {إنّ بعض الظنِّ إثْمٌ ولا تَحَسَّسوا}، بالحاء".(٣)

---

(١) الزاهر (٢١٠/١).
(٢) الزاهر (٢٤٣/١).
(٣) المصدر السابق (٣٦٩/١ ـ ٣٧٠).

وقوله" :وقرأ بعض القراء: {أرسله معنا غدا نرتع ونلعب} بالنون، وكسر التاء، على معنى: نرتع إبلنا. قال الشاعر:

(قتلوا كليبا ثم قالوا ارتعوا ... كلا ورب البيت والإحرام)

وقال أبو عبيدة: قرأ بعضهم: {أرسله معنا ترتع}، بفتح التاءين جميعا، على معنى: ترتع إبلنا".(١)

وقوله: "قال الله تعالى: {وإذ وَعَدْنا موسى} وقرأ جماعة من القراء: {واعَدنا موسى}. فالذين قرأوا: {وَعَدْنا}، قالوا: الفعل لله عز وجل. والذين قرأوا: {واعَدْنا}، قالوا: الفعل من اثنين، من الله عز وجل ومن موسى".(٢)

وقوله: وقرأ أبو رجاء والحسن: {قد شعفها حبا}، وقرأ سائر القراء: {قد شغفها حبا} .(٣)

وقوله: "وقرأ ابن أبي عمّار: {وإنّا لجميعٌ حادِرونَ} بالدال، فمعناه: ممتلئون من السلاح. وهو من قولهم: بعيرٌ حادِرٌ: إذا كان ممتلئاً شحما. وقراءة العامة: {حَاذِرُوْنَ} و {حَذِرُوْنَ}، بالذال في الوجهين".(٤)

وقوله: "وفي الحُبُك ثلاثة أوجه: الحُبُك، بضم الحاء والباء، وهو مذهب العوام. وقرأ أبو مالك الغفاري: (الحُبْك)، بضم الحاء وتسكين الباء. وقرأ الحسن: (ذاتِ الحِبْك)، بكسر الحاء وتسكين الباء".(٥)

ولفظ (العامة) أو (العوام) لا يريد به إجماع السبعة أو العشرة في كل حال، بدليل إطلاقه في بعض المواضع التي اختلفوا فيها مشيرًا به إلى قراءة الأغلب، كما في قوله: "رُبْوة، بضم الراء، وهو مذهب العامة. ورِبْوة، بكسر الراء، وهو

(١) المصدر السابق (٢/٢٨).
(٢) المصدر السابق (٢/١٢٩).
(٣) المصدر السابق (١/٥٠٨).
(٤) المصدر السابق (١/٣٠٢).
(٥) المصدر السابق (١/٣٤٢).

مذهب ابن عباس، ورُوِيَ عنه أنه كان يقرأ: {كمثلِ جَنَّةٍ بِرِبْوَةٍ}. ورَبْوة بفتح الراء، وهو مذهب عاصم واليحصبي.[١]"

وقد يريد به اتفاق السبعة كما في قوله: وفيه لغتان: كذّاب أَشِر، وكذّاب أَشَر. قال الله عز وجل: {أُلْقِيَ الذِّكْرُ عليهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كذابٌ أَشِر} هذه قراءة العامة، بكسر الشين.[٢]

وكقوله: "وقراءة العامة: {ولأوضعوا خلالكم} معناه: ولأسرعوا، يقال: أوضع الراكب يوضع إيضاعًا فهو موضع".[٣]

وأما ما كان خاصًّا في القسم الأول: فقد استعمل فيه المؤلف المصطلحات الآتية:

- أهل البصرة.
- الكوفيون.
- المدنيون.
- أهل الحجاز.
- أهل الحرمين.

ومن أمثلة ذلك:

قوله: "قرأ أهل الحرمين وعامة أهل البصرة: {تَزَّاور}، بتشديد الزاي. وقرأ الكوفيون: {تَزَاوَرُ}، بتخفيف الزاي. وقرأ أبو رجاء {تَزْوارٌ}. وقرأ قتادة {تَزْوَرُّ}".[٤]

وقوله: "وقال أبو عبيدة: قرأ بعضهم: {أَرْسِلْهُ معنا تَرْتَع}، بفتح التاءين جميعًا، على معنى: تَرْتَع إِبلُنا. وقرأ المدنيون: {يَرْتَعِ ويلعب}، بكسر العين في: يرتع، وهو " يفتعل " من " الرَّعي ".[٥]

---

(١) المصدر السابق (٣٤٣/١).
(٢) الزاهر (٣٧٤/١).
(٣) المصدر السابق (٣٦/٢).
(٤) المصدر السابق (٢٦٢/١).
(٥) المصدر السابق (٢٨/٢).

وأما القسم الثاني: وهو المصطلحات المتعلقة بالقراءة نفسها، فتتمثل في ظاهرة الضبط بالشكل؛ ويعبر عنه ابن الأنباري بطريقتين:

إحداها : الضبط بالحرف لا بالقلم عند الالتباس، فيبين المشكل بيانًا تامًّا على وجه التفصيل.

ومن أمثلة ذلك:

قوله: قال يعقوب الحضرمي: قرأ بعض القراء: {عَدُوّا}، بفتح العين وضم الدال وتشديد الواو، على معنى: أعداء، فاكتفى بالواحد من الجمع.(١)

وقوله: "قال: وقرأ الأعرج: {يَخِصِفان عليهما}، بفتح الياء وكسر الخاء والصاد. وقرأ الحسن: {يَخَصِّفَانِ}، بفتح الخاء وتشديد الصاد وكسرها".(٢)

الثانية : الضبط بالوزن، فيبين ضبط القراءة ببيان وزنها وقياسها على مثال آخر.

ومن أمثلته: قوله: "وقال الكسائي: قرأ بعض القراء: {ولا تَقُفْ ما ليس لك به علم} على وزن: ولا تَقُل.(٣)"

وقوله: "قال أبو بكر: وقد قرأ بعض القراء: {إن ناشئة الليل هي أشد وطأ} بكسر الواو، وهو صحيح في العربية. فوطيء يطأ وطأ، على مثال: علم يعلم علما، وفقه يفقه فقها، غير أنه لم يقع للفراء رواية".(٤)

المطلب الثالث: كيفية إيراد القراءات ونسبتها.

من خلال النظر والتأمل في كتاب الزاهر نلحظ أن ابن الأنباري لم يعتنِ كثيرًا بإيراد القراءات بأسانيدها.

---

(١) المصدر السابق (١/٤٢٠ ـ ٤٢١).

(٢) المصدر السابق (١/٣٧٧).

(٣) الزاهر (١/٣٦٤).

(٤) المصدر السابق (١/٥١٧).

وقد يوردها مسندة كما في الأمثلة الآتية:

قوله: "وقال السجستاني: حدثنا أبو عامر، عن أبي الأشهب، عن أبي رجاء: أنه قرأ: {فاتَّبِعونِ يَحْبِبْكُمُ الله} بفتح الياء".(١)

وقوله: "وأخبرنا إدريس قال: حدثنا خلف قال: حدثنا هشيم عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: أنه كان يقرأ: {يوم التناد}، بتشديد الدال، أي: يندون كما تند الإبل".(٢)

وقوله: "أخبرنا محمد بن عيسى الهاشمي قال: حدثنا القطعي، قال: حدثنا عبد الملك بن درست، قال: حدثنا محمد بن عمر الرومي، عن محمد بن ثابت البناني، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن أبيه: أنه قرأ على ابن عباس، وقرأ ابن عباس علي أبي، فقرأ ابن عباس: {وأزلفنا ثم الاخرين}، فقال له أبي: وأزلفنا، فيها هوادة، وأزلقنا بالقاف، هي أشدهما".(٣)

وأما من جهة النسبة والعزو فإنه يمكن تقسيم القراءات التي أوردها ابن الأنباري في الزاهر إلى قسمين:

القسم الأول: قراءات منسوبة إلى أصحابها.

وقد سلك فيه المؤلف طريقتين:

إحداهما: التصريح باسم من نسبت إليه القراءة، وهذا هو الأكثر.

وغالبًا ما ينسب القراءة إلى واحد أو اثنين فقط ممن قرأ بها، ولا يتعنّ ذكر جميع من قرأ بتلك القراءة، ولعل السبب في ذلك ـ والله أعلم ـ أن المقام ليس مقام تفصيل الروايات وبيان القراءات وعزوها إلى من قرأ، فلذلك الغرض مؤلفاتٌ

(١) الزاهر (٣٣٢/١).

(٢) المصدر السابق (٣٥٩/٢).

(٣) المصدر السابق (٢٦٤/٢).

تخصه، وإنما المقام مقام دراية لا رواية، والمقصود من إيراد هذه القراءات هو الاستدلال بما دلت عليه القراءة من شاهد نحوي أو لغوي أو نحو ذلك.

الثانية: النسبة إلى البلدان والجهات. كقوله، أهل الحرمين، أهل البصرة، الكوفيون.

القسم الثاني: إبهام النسبة على طريق الإشارة، وذلك باستعمال صيغ تدل على وجود من قرأ بها، دون تصريح. كقوله: قوم، وبعض، وبعضهم، والعامة، والعوام.

ومن أمثلة القسم الأول

قوله: "وقرأ أبو رجاء والحسن: {قد شعفها حبا}".[1]

وقوله: "وقرأ نافع: {وأنهم مُفْرِطون}، بكسر الراء. وقرأ أبو جعفر: {وأنهم مُفَرِّطون}. فمعنى قراءة نافع: وأنهم مُفْرِطون على أنفسهم في الذنوب. ومعنى قراءة أبي جعفر: وأنهم مضيِّعون مقصِّرون. وهو مأخوذ من هذا، أي: مُقَدِّمون العجز والتقصير. ومن ذلك قول الله عز وجل: {تَوَفَّتْهُ رسُلُنا وهم لا يُفَرِّطون}. وقرأ ابن هرمز: {وهم لا يُفْرِطونَ}، بتسكين الفاء. ومعنى القراءتين: لا يقدمون العجز والتقصير".[2]

وقوله: "وفي الحُبُك ثلاثة أوجه: الحُبُك، بضم الحاء والباء، وهو مذهب العوام . وقرأ أبو مالك الغفاري: (الحُبْك)، بضم الحاء وتسكين الباء. وقرأ الحسن: (ذاتِ الحِبْك)، بكسر الحاء وتسكين الباء".[3]

---

(١) الزاهر (٥٠٨/١).

(٢) المصدر السابق (٣١٠/١).

(٣) المصدر السابق (٣٤٢/١).

وقوله: "وفي تزاور أربعة أوجه: قرأ أهل الحرمين وعامة أهل البصرة: {تَزَّاور}، بتشديد الزاي. وقرأ الكوفيون: {تَزَاوَرُ}، بتخفيف الزاي. وقرأ أبو رجاء {تَزْوارٌ}. وقرأ قتادة {تَزْوَرُّ}".(١)

ففي هذه الأمثلة وغيرها نجده ينسب القراءة إلى من قرأ بها، سواء كانوا أعلامًا، أو كانت أمصارًا.

ولما لم يكن ذِكر ابن الأنباري لهذه القراءات ونسبتها إلى أصحابها إلا سبيلًا إلى الاحتجاج بها على ما هو بصدده من قضايا وأحكام، وحجج وبراهين= لذلك فإنه لا يهتم كثيرًا باستيعاب الأئمة القراء الذين نسبت إليهم هذه القراءة، بل يكتفي من ذلك بما يدل على ثبوتها عن بعض القَرَأة.

وربما اكتفى بنسبة القراءة السبعية أو العشرية إلى بعض الصحابة، دون بيان أنها لأحد القراء السبعة أو العشرة، كما فعل في قراءة (ننسأها) بالهمز حيث نسبها لابن عباس، فقال: وقرأ ابن عباس: {ما نَنْسَخْ من آيةٍ أو ننسأْها} على معنى: أو نؤخرها" .(٢)

بل ربما أبهم من قرأ بها واكتفى بالإشارة إلى كونها قراءة مقروءًا بها دون تعيين، كما سيأتي في الأمثلة الآتية.

ومن أمثلة القسم الثاني:

قوله: "وقرأ بعض القراء: {أرسله معنا غدا نرتع ونلعب} بالنون، وكسر التاء، على معنى: نرتع إبلنا. قال الشاعر:

(قتلوا كليبا ثم قالوا ارتعوا ... كلا ورب البيت والإحرامِ)

---

(١) المصدر السابق (٢٦٢/١).

(٢) المصدر السابق (٤٥١/١).

وقال أبو عبيدة: قرأ بعضهم: {أرسله معنا ترتع}، بفتح التاءين جميعا، على معنى: ترتع إبلنا. وقرأ المدنيون: {يرتعِ ويلعب}، بكسر العين في: يرتع، وهو " يفتعل " من " الرعي ".(١)

وقوله: "وقرأ بعض القراء: {وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته}: يريد: سرورا وفرحًا".(٢)

ومن خلال هذه الأمثلة يظهر:

– أن ابن الأنباري قد يسند القراءة إلى من قرأ بها، وقد يعدل عن ذلك كما هو الأغلب من صنيعه.

– أن ابن الأنباري لم يلتزم دائمًا بنسبة القراءة إلى من قرأ بها، سواءًا كانت تلك القراءة متواترة أم شاذة.

– أنه قد يعيّن القراء ويسميهم عند عزو القراءة وإسنادها إلى من قرأ بها، وقد يعمم فينسب القراءة إلى جهة أو مصر من الأمصار، وقد يبهم فيشير إلى وجود القراءة عند بعض القراء أو قوم منهم أو عامتهم.

– أنه لا يستوعب القراء الذين تعزى إليهم القراءة، بل يكتفي بذكر بعضهم؛ إذ المقام مقام دراية لا رواية.

---

(١) الزاهر (٢٨/٢).

(٢) المصدر السابق (٢٨/٢).

المطلب الرابع: موقفه من القراءات الواردة في كتابه (الزاهر) من حيث القبول والرد.

لم يعتن ابن الأنباري كثيرًا بالحكم على القراءات التي يذكرها في كتابه، ذلك أن المورد الذي من أجله أورد هذه القراءات هو الاستشهاد بها على المسائل اللغوية، والاستئناس بها في بيان الغريب، والاستفادة منها لفظًا ومعنى، وهذا كله لا يتوقف على معرفة حكم القراءة من حيث الرواية تواترًا أو شذوذًا، إذ القراءات الشاذة حجة في المسائل اللغوية، ودليل صحيح في إثباتها والاحتجاج لها.

ولا يعني هذا أن كل ما ينسب إلى القراءات يكون حجة لغوية دون نظر في ثبوته وتأكُّدٍ من صحته وكونِه قراءة، بل لا بد من البحث في ثبوته قراءة ولو كانت شاذة من طريق الآحاد.

وهذا ما سار عليه ابن الأنباري حيث علّق الاستدلال ببعض القراءات على ثبوتها وصحتها كما في قوله: "ويروى عن قتادة: {وآتوا النساء صدقاتهن} بفتح الصاد وتسكين الدال، فإن صحت هذه القراءة فواحدة الصدقات: صدقة، وهي لغة سادسة".(١)

وتارة يَنْقُد القراءة الشاذة بما ثبت في اللغة واستقر، ويعارضها بما جرى عليه الاستعمال في اللسان العربي، فيقول: "وقرأ أبو قلابة: {مَنِ الكذّابُ الأَشَرُّ}. بفتح الألف والشين، وتشديد الراء وضمها. وهذا غير مستعمل في كلامهم، لأنهم يستعملون حذف الألف من هذا فيقولون: فلان شَرٌّ من فلان، وفلان خيْرٌ من فلان، ولا يكادون يقولون: فلانَ أشرُّ من فلان، وفلان أخيرُ من فلان".(٢)

كما ينقل في بعض الأحيان تضعيفها، ويبين وهاءها، وأنه لا يصح الاستدلال بها على تلك المسألة اللغوية، كقوله: "وقرأ أبو عثمان النهدي: {أَمَّرْنا مترفيها}،

---

(١) الزاهر (٢١٥/١).

(٢) المصدر السابق (٣٧٥/١).

وقرأ أبو عمرو: {أَمَرْنا مترفيها}، على معنى: أكثرنا مترفيها. وقرأ الحسن: {أَمِرْنا مترفيها}، بكسر الميم. وكان الفراء يُضَعِّف هذه القراءة، لأن " أَمِر " لا يتعدى إلى مفعول. وحكى أبو زيد: أَمِر الله بني فلان، أي: أكثرهم. والمعروف في كلام العرب: قد أَمِرَ القوم يأمَرون فهم أمِرون: إذا كثروا".(١)

ويلاحظ أنه يشترط في صحة القراءة موافقتها الرسم العثماني، ولذلك ربما شذذ القراءة وضعَّفها بمخالفتها الرسم العثماني، وما عليه خط المصاحف، وذلك كردّه قراءة (تفكّنون) بالنون بدل الهاء، حيث قال: "من ذلك قوله عز وجل: {فَظَلْتُم تَفَكَّهونَ} معناه: فظلتم تندمون. وقرأ أبو حرام العُكْلي: فظَلْتُم تَفَكَّنون. قال أبو بكر: ولا يجوز لأحد أن يقرأ بهذه القراءة لأنها تخالف المصحف" .(٢)

أما القراءات المتواترة، فلم أقف له على تخطئة شيء منها، أو تغليط من قرأ بها، غير أنه نقل في قراءة حمزة (دُرِّيْء) قولَ الفراء في تخطئتها، ثم أتبعه بما يرد عليه من قول سيبويه وأبي عبيد في الاحتجاج للقراءة، وبيان أن لها أصلًا صحيحًا في اللغة، ومثالًا في الاستعمال يمكن أن تقاس عليه.

فقال: "ومَنْ قال: دُرِّيءٌ، قال الفراء: هو خطأ، وقد قرأ به الأعمش وحمزة. قال: وإنما صار [هذا] خطأ لأنه: فُعِّيل، وليس في أبنية العرب: فُعِّيل، وإنما جاء فُعِّيل في الأعجمية، نحو مُرِّيق، وما أشبه ذلك.

وقال سيبويه: في أبنية العرب: فُعِّيل، وذكر المُرّيق.

وقال أبو عبيد: الأصل في دُرِّيء: دُرُوءٌ، على مثال سُبُّوح وقُدُّوس. قال: فجعلوا الواو ياءً، والضمة التي قبلها كسرةً، فقالوا: دريء، قال: ومثل هذا من كلام العرب: عتا عُتُوّاً، وعتا عُتِيّاً".(٣)

---

(١) المصدر السابق (١/٤٠٤ ـ ٤٠٥).

(٢) المصدر السابق (١/١٦٠).

(٣) الزاهر (١/١٩٦).

فدل نقله عن سيبويه وأبي عبيد على أن هذا مذهبه واختياره، وهو صحة القراءة وثبوتها لغة، لا كما ذهب إليه الفراء في ردّها.

والحاصل أن ابن الأنباري لم يضعف قراءة عشرية في هذا الكتاب، لكن عرض لبعض القراءات الشاذة بالنقد، وربما علق المسألة اللغوية على ثبوت القراءة وصحتها.

وبهذا يتبين أن ابن الأنباري يفرق بين القراءات السبعة والشاذة، فالسبعة قراءاتهم متواترة مقبولة، والشاذة فاقدة لشرط أو شرطين من الشروط التي لا تقبل القراءة إلا بها، ولذا قد يعرض لها بالنقد أو المعارضة.

المبحث الثالث

منهجه في توجيه القراءات الواردة في كتابه (الزاهر)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مصادره في توجيه القراءات.

وعند الحديث عن توجيه القراءات على وجه الخصوص نلحظ أنه لا يخرج عن مسألتين:

المسألة الأول: أقوال المصنف الاجتهادية التي لم ينقلها عن أحد ممن سبقه.

المسألة الثاني: النقولات التي ينسبها إلى من تقدمه من أهل العلم.

أما أقوال المصنف التي تمثل رأيه الخاص، فهي كثيرة جدًّا، ولا غرو في ذلك ولا عجب، فهو من أساطين العربية، وأئمة اللغة الكبار..

ومن ذلك قوله في توجيه قراءة (المحال) بفتح الميم: "فالحول: الحيلة. يقال: ما للرجل مِحال، بكسر الميم، وماله مَحال بفتح الميم. إذا كسرت الميم فالمعنى: ماله مكر ولا عقوبة، من قوله تبارك وتعالى: {وهو شديد المحال} معناه: شديد المكر والعقوبة... قال: ويُروى عن الأعرج أنه قرأ: (وهو شديدُ المَحال) بفتح الميم. وتفسير ابن عباس يدل على الفتح، لأنه قال: المعنى: وهو شديد الحول".[1]

وقوله: "قال أبو بكر: العزيز معناه في كلام العرب: القاهر الغالب. من ذلك قول العرب: قد عز فلان فلانا يعزه عزا: إذا غلبه. قال الله عز وجل: {وعزني في الخطاب) فمعناه: غلبني في الخطاب. ويقرأ: (وعازني في الخطاب) على معنى: وغالبني".[2]

---

(١) الزاهر: (١/٩ - ١٠).

(٢) المصدر السابق: (١/٧٨).

وأما ما حكاه ابن الأنباري عن غيره في توجيه القراءات فهو كثير أيضًا؛ إذ السمة الغالبة في صنيعه الجمع بين رأيه وآراء غيره من أهل العلم، فقلّما يذكر تخريجًا للقراءة أو الآية إلا ويتبعه بالنقل عن الأئمة وافقوه أو خالفوه..

وبهذا حفظ لنا نصوصًا عزيزة، ونقولًا نفيسة، قلّ أن توجد في كتاب، أو يجمعها إمام.

ومن ذلك قوله في معرض حديثه عن نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، كما في التكبير على رأي بعضهم، وكذا في (الم الله) عند من يرى أن فتحة الميم في الوصل لذلك السبب، قال: وقال الكسائي: "قرأ عليَّ رجل من العرب: {بسم الله الرحمن الرحيمَ الحمد لله} ففتح الميم، لأنه أراد أن يسكنها لأنها رأس آية، ثم ألقى حركة ألف الحمد على الميم من الرحيم، وأسقط الألف.

وقال الكسائي: قرأ عليَّ رجل من العرب سورة ق، فلما انتهى إلى قوله: {مناع للخير معتد مريب}، قرأ "مريب الذي"، بكسر الباء وفتح النون على معنى: مريب الذي، فألقى فتحة الألف على النون، وأسقط الألف".(١)

وقد أكثر رحمه الله في توجيه القراءات من النقل عن الكسائي والفراء وأبي عبيدة وأبي عبيد.

ومن ذلك قوله: "وقال الفراء: من قرأ {مالكم من إله غيره} خفض غيرًا على النعت لإله، ومن قرأ: {مالكم من إله غيرُه} جعل: غيرا نعتا لإله في التأويل، لأن التأويل: مالكم إله غيره. وكذلك: {هل من خالق غير الله} غير مخفوضة على النعت للفظ خالق. ومن قرأ: {هل من خالق غيرُ الله} رفع: (غيرًا) على النعت لتأويل خالق، لأن التأويل: هل خالق غير الله".(٢)

---

(١) الزاهر: (٣٣/١).

(٢) المصدر السابق: (٥٦/١).

وربما تعقَّبهم وضعف ما ذهبوا إليه، كما في قوله: "من ذلك قوله تبارك وتعالى: {شهد الله أنه لا إله إلا هو} قال أبو بكر: قال أبو العباس: معناه بين الله أنه لا إله إلا هو، وأعلم أنه لا إله إلا هو. قال: ومن ذلك قولهم: قد شهد الشاهد عند الحاكم، معناه: قد بين للحاكم وأعلمه الخبر الذي عنده.

وقال أبو عبيدة: معنى قوله: {شهد الله أنه لا إله إلا هو} أي: قضى الله أنه لا إله إلا هو. قال أبو بكر: وقول أبي العباس أحسن مشاكلة لكلام العرب[1]".

ومن خلال جمع أقواله في توجيه القراءات، وكذا النصوص التي ينقلها عن غيره من العلماء؛ فإنه يظهر ظهورًا جليًّا بروز شخصية المؤلف، وحسّه النقديّ، وقلمه المتقن ولسانه المُحكم في اللغة وعلومها.

المطلب الثاني: طريقة عرض التوجيه.

لم ينص المؤلف في صدر كتابه على المنهج الذي سار عليه في الاستشهاد بالقراءات أو الاحتجاج لها، لكن يمكن من خلال التأمل استخلاص طريقته ـ رحمه الله ـ في عرض التوجيه والاحتجاج للقراءة، وذلك في العناصر الآتية:

* العنصر الأول: ألفاظ التوجيه:

يستعمل ابن الأنباري بعض المصطلحات والجمل عند تعبيره عن التوجيه للقراءة والاحتجاج لها، كأن يقول: كذا وكذا حجةٌ لهذه القراءة، أو حجة لفلان، أو قرأ فلان كذا على معنى، أو على أنه، أو يقول: العلة في هذه القراءة، وإلى هذا المعنى ذهب من قرأ كذا وكذا، إلى غير ذلك من ألفاظ وعبارات.

ومن أمثلة ذلك: قوله: "وقال الكسائي: قرأ بعض القراء: {ولا تَقُفْ ما ليس لك به علم} على وزن: ولا تَقُل. قال الشاعر حجة لهذه القراءة:

(ولو كنتُ في غُمْدانَ يحرُسُ بابَه ... أراجيلُ أحبوشٍ وأسودُ آلِفُ)

---

(١) المصدر السابق: (٣٢/١).

(إذاً لأتتني حيثُ كنتُ منيتي ... يخبُّ بها هادٍ لإثريَ قائِف)".[١]

وقوله: "قرأ نافع وغيره: {فاسر بأهلك}، فأخذه من: سريت، والذين خالفوه، وقطعوا الألف، أخذوه من: أسريت. قال النابغة:

(سرت عليه من الجوزاء سارية ... تزجي الشمال عليه جامد البرد)

فهذا حجة لنافع. وقال الآخر حجة للذين قطعوا الألف:

(فبات وأسرى القوم آخر ليلهم ... وما كان وقافا بغير معصر)"[٢]

وقوله: "قال الله عز وجل: {أو جاءُوكم حَصِرَت صدورُهم}، أي: قد ضاقت صدورهم. وقرأ الحسن: " حَصِرَةً صدورهم " على معنى: ضيِّقةً صدورهم.

والحصر عند العرب: احتباس الحَدَث، والأسر: احتباس البول".[٣]

وقوله: "وقال الفراء: حدثني سفيان بن عيينة عن رجل عن مجاهد أنه قرأ: {سيعلمون غداً} بالياء {مَنِ الكَذَّابُ الأَشُرُ}، بضم الشين.

والعلة في ضمها أنهم أرادوا المبالغة في ذمه، فصار بمنزلة قولهم: رجل فَطُن: إذا أرادوا المبالغة في وصفه بالفطنة، ورجل حَذُر: إذا أرادوا المبالغة في وصفه بالحذر. وإلى هذا المعنى ذهب الذين قرأوا: {وجعلَ منهم القردةَ والخنازيرَ وعَبُدَ الطاغوت} فضموا الباء على المبالغة".[٤]

* العنصر الثاني: أصول الاستدلال في توجيه القراءات عند ابن الأنباري:

الناظر في توجيه ابن الأنباري للقراءات القرآنية في هذا الكتاب يجده يستند إلى جملةٍ من المصادر والأدلة، ألخصها فيما يأتي:

---

(١) الزاهر: (٣٦٧/١).

(٢) المصدر السابق: (٦٧/٢).

(٣) المصدر السابق: (٤١٩/١).

(٤) الزاهر: (٣٧٤/١).

أولًا: القرآن الكريم.

اعتمد رحمه الله في توجيه القراءات على القرآن في مواضع ليست قليلة، من ذلك قوله: "قال الله عز وجل: {إن ناشئة الليل هي أشد وطأ} فمعناه: هي أشد موافقة، وذلك أن اللسان يواطئ فيها العمل، والسمع يواطئ فيها القلب.

ومن قرأ: {أشد وطاء}، قال: المعنى أثبت قياما من صلاة النهار، لأن النهار تشتغل فيه القلوب بالمعاش، والليل تخلو فيه القلوب.

ويقال: معنى أشد وطاء: أشد قياما. أي هي أشد على المصلي من صلاة النهار، لأن الليل تنصرف فيه القلوب إلى النوم.

فالوطاء، من: واطأت مواطأة، ووطاء. والوطء، من: وطئت وطأ. قال الله عز وجل: {ليواطئوا عدة ما حرم الله} فمعناه: ليوافقوا.[1]"

ومن أمثلته أيضًا: "وقرأ ابن عباس: {ما نَنْسَخْ من آيةٍ أو ننسأْها} على معنى: أو نؤخرها. وقال الله عز وجل: {إنّما النَسِيءُ زيادةٌ في الكُفر}. النسيء: التأخير".[2]

ثانيًا: الأحاديث والآثار.

اختلف العلماء قديمًا في الاحتجاج بالسنة النبوية على تقرير القواعد اللغوية والنحوية، وكأن ابن الأنباري يميل إلى عدِّ ذلك مصدرًا معتبرًا من مصادر التوجيه، ومنهلًا صحيحًا من مناهل الاستدلال، ولذا نجده يعتدّ به في تخريج بعض القراءات.

فمن ذلك: قوله: "وكان نافع يهمز "النبي" في جميع القرآن لأنه كان يأخذه من "النبأ"، والاختيار ترك الهمز فيه، لأنه مذهب قريش وأهل الحجاز، وهو لغة

(١) المصدر السابق: (٥١٥/١).

(٢) المصدر السابق: (٤٥١/١).

النبي. وقد جاء في الخبر: (أن رسول الله قال له رجل: يا نبيء الله، فقال: لست بنبيء الله، ولكني نبي الله) فأنكر الهمز، لأنه لم يكن من لغته".[١]

ومن أمثلته أيضًا: قوله: "وفي "نعم" لغتان: [نعم]، بفتح العين و "نعم"، بكسر العين. قرأ الكسائي وغيره: {قالوا نعم}.

وروى قتادة عن رجل من خثعم قال: (دفعت إلى رسول الله، وهو بمنى فقلت له: أنت تزعم أنك نبي فقال: نعم)، وكسر العين.

وقال بعض ولد الزبير: (ما كنت أسمع أشياخ قريش يقولون إلا: نعم)، بكسر العين.

وقال أبو عثمان النهدي: (أمرنا عمر بن الخطاب بأمر فقلنا: نعم، فقال: لا تقولوا: نعم، ولكن قولوا: نعم)، بكسر العين".[٢]

ومن أمثلته أيضًا: قال أبو بكر: معناه: قد تركته وخلفته. وكذلك: أغدرته. قال الله جل اسمه {مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة}.

وفي بعض المصاحف: {لا يغدر صغيرة ولا كبيرة}، ومعناهما واحد. جاء في الحديث: (أن رسول الله ذكر قوما غزوا فقتلوا، فقال: ليتني غودرت مع أصحاب نحص الجبل). أي: ليتني تركت معهم شهيدا. والنحص: أصل الجبل وسفحه".[٣]

ثالثًا: الرسم العثماني.

من المصادر التي يفزع إليها ابن الأنباري ـ رحمه الله ـ في توجيه القراءة ما ثبت في الرسم العثماني، إذ موافقة الخطّ ركن من أركان القراءة المعتبرة، فموافقة المصحف أمارة على صحة القراءة.

---

(١) الزاهر: (١١٣/٢).

(٢) المصدر السابق: (٥١/٢).

(٣) المصدر السابق: (١٤٣/٢).

ومن أمثلة اعتماد ابن الأنباري هذا المصدر: قوله: قال عز وجل: {فظلتم تفكهون} معناه: فظلتم تندمون. وقرأ أبو حرام العكلي: فظلتم تفكنون.

قال أبو بكر: ولا يجوز لأحد أن يقرأ بهذه القراءة لأنها تخالف المصحف".[1]

رابعًا: قراءات الصحابة.

مما يصدر عنه ابن الأنباري في الاحتجاج للقراءة ما روي عن بعض الصحابة من قراءتهم أو نقل عن مصاحفهم.

ومن ذلك: "قوله: قال الله عز وجل: {وأزلفنا ثم الآخرين}، أراد: وقربنا، أي: قربناهم من الهلاك.

أخبرنا محمد بن عيسى الهاشمي قال: حدثنا القطعي قال: حدثنا عبد الملك بن درست، قال: حدثنا محمد بن عمر الرومي، عن محمد بن ثابت البناني، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن أبيه: أنه قرأ على ابن عباس، وقرأ ابن عباس علي أبي، فقرأ ابن عباس: {وأزلفنا ثم الآخرين}، فقال له أبي: وأزلفنا، فيها هوادة، وأزلقنا بالقاف، هي أشدهما.

فكأنه – رحمه الله – ذهب إلى ان " أزلقنا " بمعنى " أهلكنا "، وأن " أزلفنا " لا يكون هذا المعنى واضحا فيه.

وغيره يقول: " أزلفنا " مأخوذ من التقريب، إما إلى نجاء، وإما إلى بلاء".[2]

خامسًا: مصاحف الصحابة.

مما يصدر عنه ابن الأنباري في الاحتجاج للقراءة ما نقل عن بعض الصحابة في مصاحفهم.

ومن أمثلة ذلك: قوله: "وفي القيوم ثلاث لغات: القَيُّوم. والقَيَّام، وبه قرأ عمر بن الخطاب. والقيمِّ، وكذلك هو في مصحف ابن مسعود، وروي عن علقمة".[3]

---

(١) المصدر السابق: (١/١٦٠).
(٢) الزاهر: (٢/٢٦٤).
(٣) المصدر السابق: (١/٩٠).

ومن أمثلته أيضًا: "قال الله تبارك وتعالى: {وإن يروا سبيل الرشاد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا}. أراد بالسبيل: الطريق.

وفي بعض المصاحف: {وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوها سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوها سبيلا}. وقال في موضع آخر: (ولتستبين سبيل المجرمين). وقرأوا: {وليستبين سبيل المجرمين} بالتذكير والتأنيث".(١)

سابعًا: لغة العرب، وأشعارها.

يعدُّ الشعر ديوان مفاخرِ العرب، وسجلَّ علومِهم وعاداتِهم، ولم يكن للعربِ قبلَ الإسلام عِلمٌ أَصحَّ منه، وقد اعتمده ابن الأنباري في توجيه بعض القراءات.

ومن أمثلة ذلك: قوله: والبرية، تهمز ولا تهمز، فمن همزها، أخذها من: برأ الله الخلق، ومن لم يهمزها قال: هي مأخوذة من: برا الله الخلق، مبنية على ترك الهمز.

ويجوز أن تكون مأخوذة من "البرى"، وهو التراب. يقال في مثل من الأمثال: (بفيه البرى، وحمى خيبرى، وشر ما يرى، فأنه خيسرى). وقالت بنت عبد المطلب ترثي أباها:

(والريس المعلوم والمعتفي ... في كل ما عال بني غالب)

(إن تُمْسِ في رمس عليك البرى ... تسفي عليك المور بالحاصب)".(٢)

ومن أمثلته: قوله: "قال الله تعالى: {فأسر بأهلك بقطع من الليل} وقرأ نافع وغيره: {فاسر بأهلك}، فأخذه من: سريت، والذين خالفوه، وقطعوا الألف، أخذوه من: أسريت. قال النابغة.

(سرت عليه من الجوزاء سارية ... تزجي الشمال عليه جامد البرد)

فهذا حجة لنافع.

---

(١) المصدر السابق: (١٩٧/٢).

(٢) الزاهر: (١١٤/٢).

وقال الآخر حجة للذين قطعوا الألف:

(فبات وأسرى القوم آخر ليلهم ... وما كان وقافا بغير معصر)".[1]

ثامنًا: الأقيسة، وموافقة السياق والسباق واللحاق:

قد يراعي ابن الأنباري قياس اللفظ على اللفظ في توجيه القراءة، ويعتمد السياق دليلًا في الترجيح بين القراءات المختلفة..

ومن ذلك قوله: "وحدثنا إبراهيم قال: حدثنا يحيى بن خلف عن المعتمر عن أبيه قال: قرأ الحسن: {إنّ بعض الظنِّ إثْمٌ ولا تَحَسَّسوا}، بالحاء.

حدثنا إبراهيم قال: حدثنا إبراهيم بن محمد عن أبي عصام عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: {ولا تجسسوا} بالجيم قال: خذوا ما ظهر، ودعوا ما ستر الله.

وجاء في الحديث: (لا تجسسوا ولا تحسسوا) فنسقت إحدى اللفظتين على الأخرى، لأن الثانية تخالف لفظ الأولى في مذهب يحيى بن أبي كثير.

وأما أهل اللغة فإنهم يذهبون إلى أن الثانية نسقت على الأولى لما خالف لفظها لفظَها، ومعناه كمعناها".[2]

*** العنصر الثالث: سمات التوجيه عند ابن الأنباري:**

اتسم الاحتجاج لدى ابن الأنباري بسمات عدّة، واتخذت طرائقه في توجيه القراءات صورًا مختلفة تنوعت بتنوع أغراضها وأسبابها..

فربما دلّل على صحة الوجه اللغوي بالقراءة، كما في قوله: "قال الله عز وجل، وهو أصدق قيلا: {يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض الملك القدوس}،

---

(١) المصدر السابق: (٦٧/٢).

(٢) المصدر السابق (٣٦٩/١ ـ ٣٧٠).

معناه: الطاهر. ومعنى يسبح لله: ينزه الله. ومن العرب من يقول: القدوس، بفتح القاف، وبه قرأ أبو الدينار الأعرابي".(١)

ويظهر بجلاء الحسّ النقدي لدى الإمام ابن الأنباري، فقد جمع في توجيه القراءة بين المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج النقدي التعليلي.

كما جاء في تخطئته قطربًا في عدم تجويزه أن يكون (آدم) مأخوذًا من أديم الأرض، حيث قال: "واختلفوا في آدم عليه السلام: فقال ابن عباس: آدم مأخوذ من أديم الأرض.

وروى أبو موسى عن النبي أنه قال: (خلقَ الله عز وجل آدمَ من قبضةٍ قَبَضَها من جميعِ الأرضِ، فجاء ولدُهُ على قَدْر الأرض، منهم الأسود والأبيضُ والأحمرُ والسهلُ والحَزْنُ والخبيثُ والطِّيبُ).

وقال قطرب: لا يصح في العربية أن يكون " آدم " مأخوذاً من أديم الأرض، لأنه لو كان كذلك لكان منصرفاً، لأنه يكون: فاعَلاً، بمنزلة: خاتمَ وطابَق.

وهذا خطأ منه، لأن آدم، على ما قال النبي وابن عباس، مأخوذ من أديم الأرض. والذي قالا صحيح في العربية، وهو أن يكون آدم: أفعل، من الأديم، ويكون الأصل فيه: أَأْدم، فتصير الهمزة الساكنة ألفًا لانفتاح ما قبلها، ويمنع من الانصراف للزيادة والتعريف".(٢)

وقوله: "وقرأ أبو قلابة: {مَنِ الكذّابُ الأَشَرُّ}. بفتح الألف والشين، وتشديد الراء وضمها. وهذا غير مستعمل في كلامهم، لأنهم يستعملون حذف الألف من هذا فيقولون: فلان شَرٌّ من فلان، وفلان خيْرٌ من فلان، ولا يكادون يقولون: فلانَ أشرُّ من فلان، وفلان أخيرُ من فلان".

---

(١) الزاهر: (٥٣/١).

(٢) المصدر السابق: (٣٨٤/١).

كما اتسم منهجه أيضًا بالاحتجاج بالقراءة القرآنية في التنبيه على خطأ العوام وأوهامهم في كلامهم، وهذا من مقاصد تأليف الكتاب، فيقول: "وكذلك تخطىء العامة، فيقول الرجل منهم للرجل: أوعدني موعدا أقف عليه. وهذا خطأ في كلام العرب، وذلك أنهم يقولون: قد وعدت الرجل خيرا، وأوعدته شرا. فإذا لم يذكروا الخير قالوا: وعدته، فلم يدخلوا ألفا، وإذا لم يذكروا الشر قالوا: أوعدته، ولم يسقطوا الألف. قال الشاعر:

(وإني وإن أوعدته أو وعدته ... لأخلف إيعادي وأنجز موعدي)

وإذا ادخلوا الباء، لم يكن إلا في الشر، كقولهم: أوعدته بالضرب. ويقال: واعدت فلانا أواعده مواعدة: إذا وعدته ووعدني، لأن سبيل: فاعلت، أن يكون من اثنين، كقولك: شاركت الرجل، وقاتلته، وبايعته. وقد يكون لواحد، كقولك: عاقبت اللص، وطارقت النعل، وقاتل الله الكافر، معناه: قتله الله. قال الله تعالى: {وإذ وعدنا موسى} وقرأ جماعة من القراء: {واعدنا موسى}. فالذين قرأوا: {وعدنا}، قالوا: الفعل لله عز وجل. والذين قرأوا: {واعدنا}، قالوا: الفعل من اثنين، من الله عز وجل ومن موسى".[1]

ومن سمات توجيهه أيضًا: أنه ربما فاضل بين الرأيين ورجح أحدهما على الآخر، كما في تفسير الآية "(شهد الله أنه لا إله إلا هو)، حيث قال: "قال أبو العباس: معناه بين الله أنه لا إله إلا هو، وأعلم أنه لا إله إلا هو. قال: ومن ذلك قولهم: قد شهد الشاهد عند الحاكم، معناه: قد بين للحاكم وأعلمه الخبر الذي عنده.

وقال أبو عبيدة: معنى قوله: {شهد الله أنه لا إله إلا هو} أي: قضى الله أنه لا إله إلا هو. قال أبو بكر: وقول أبي العباس أحسن مشاكلة لكلام العرب".[2]

---

(١) الزاهر: (١٢٩/٢).

(٢) المصدر السابق: (٣٢/١).

كما تجده أحيانًا يطيل النفس جدًّا في بيان وجه القراءة، ويذكر الأقوال، ويستشهد لها بكلام العرب وأشعارهم.

ومن ذلك قوله: "والمواطأة عند العرب: الموافقة. قال الله عز وجل: {إن ناشئة الليل هي أشد وطأ} فمعناه: هي أشد موافقة، وذلك أن اللسان يواطيء فيها العمل، والسمع يواطيء فيها القلب.

ومن قرأ: {أشد وطاء}، قال: المعنى أثبت قياما من صلاة النهار، لأن النهار تشتغل فيه القلوب بالمعاش، والليل تخلو فيه [القلوب].

ويقال: معنى أشد وطاء: أشد قياما. أي هي أشد على المصلي من صلاة النهار، لأن الليل تنصرف فيه القلوب إلى النوم.

فالوطاء، من: واطأت مواطأة، ووطاء. والوطء، من: وطئت / وطأ. قال الله عز وجل: {ليواطئوا عدة ما حرم الله} فمعناه: ليوافقوا.

وفيه ثلاثة أوجه: يقال: واطأت فلانا على كذا [وكذا]، وهو مذهب التحقيق في الهمز.

وواطات فلانا على كذا، وكذا وهو مذهب التليين في الهمز.

وواطيت فلانا على كذا، وكذا، وهو على مذهب الانتقال من الهمز إلى الياء. فواطيت، على مثال: قاضيت ورامیت.

ويقال: فلان لم يواطيء فلانا، بالهمز، ولم يواطي فلانا، بإثبات الياء، على تليين الهمز، وفلان لم يواط فلانا، بحذف الياء، على الانتقال عن الهمز.

قال زهير:

(جريء متى يظلم يعاقب بظلمه ... سريعا وإلا يبد بالظلم يظلم)

قال: وجمع الآخر بين اللغتين فقال:

(إني من القوم الذين إذا ابتدوا ... بدؤا بحق الله ثم النائل)".[١]

---

(١) الزاهر: (١/٥١٥ ـ ٥١٦).

ومن سمات المنهج أيضًا: أنه قد يقدم تخريج القراءة عليها، فربما وجه القراءة قبل أن يوردها.

كما فعل في قراءة (شعفا) و(شغفًا) بالعين والغين، حيث قال: "وقولهم: (فلان مشعوف بفلان) قال أبو بكر: معناه: قد ذهب به حُبُّه كل مذهب. قال الفراء: هو من الشعف، والشعف عند العرب: رؤوس الجبال، وواحد الشعف: شعفة: فكأن معنى: شعف بفلان: ارتفع حبه إلى أعلى المواضع من قلبه. هذا مذهب الفراء.

وقال غيره: الشعف هو الذعر. فكأن المعنى: هو مذغور خائف قلق.

قال أبو عبيدة: قال إبراهيم النخعي: الشعف: شعف الدابة حين تذعر. قال أبو عبيد: ثم نقلته العرب من الدواب إلى الناس. وأنشد لامرىء القيس:

(ليقتلني وقد شعفت فؤادها ... كما شعف المهنوءة الرجل الطالي)

قال: فالشعف الأول: هو من الحب، والثاني: من الذعر، شبه أحدهما بصاحبه.

وقرأ أبو رجاء والحسن: {قد شعفها حبا}، وقرأ سائر القراء: {قد شغفها حبا}".[1]

وقوله: والمتك، فيه قولان: يقال المتك: الأترج. ويقال: المتك: الزماورد، وهو الذي يسميه العوام: البزماورد. وقرأ الأعرج: {وأعتدت لهن متكا}.[2]

المطلب الثالث: أنواع التوجيه الواردة في كتابه.

جمع ابن الأنباري جملة من أنواع التوجيه، كالتوجيه بالمأثور، ومن لغة العرب ويضم التوجيه النحوي، والصرفي، والبلاغي، والدلالي، وبالرسم العثماني، فهذه ثلاثة عناصر:

---

(١) المصدر السابق: (٥٠٨/١).

(٢) المصدر السابق: (٢٢/٢).

*** العنصر الأول: توجيه القراءات بالمأثور.**

ويدخل في ذلك توجيه القراءات بالقرآن، والسنة النبوية، وآثار الصحابة، ومصاحفهم، وكل هذا قد مرّ بيانه في المبحث السابق بالأمثلة.

وأكتفي هنا بالإشارة إلى مثال واحد غير ما تقدم، وذلك قوله: "قال الله تعالى: {إنه كان حوبا كبيرا} فمعناه: إثما عظيما. وقال ابن سيرين: أراد أبو أيوب أن يطلق أم أيوب، فقال له النبي: (أما علمت يا أبا أيوب أن طلاق أم أيوب حوب).[١]

***العنصر الثاني: توجيه القراءات من لغة العرب.**

ويتضمن التوجيه النحوي، والصرفي، والبلاغي، والصوتي، والدلالي.

فمن أمثلة التوجيه النحوي قوله: "قال الله عز وجل: {ما كانَ حُجَّتَهُمْ إلاّ أَنْ قالُوا} فالحجة خبر كان و (أن) الاسم. وقرأ الحسن: {ما كان حجَّتُهم إلا أنْ قالوا} فالحجة اسم كان على قراءته و (أن) الخبر".[٢]

ومن أمثلة التوجيه الصرفي قوله في توجيه القراءات الواردة في (القيوم): "وفي القيوم ثلاث لغات: القيوم. والقيام، وبه قرأ عمر بن الخطاب. والقيم، وكذلك هو في مصحف ابن مسعود، وروي عن علقمة.

فالقيوم: الفيعول؛ أصله: القيووم، فلما اجتمعت الياء والواو، والسابق ساكن، جعلتا ياء مشددة.

والقيَّام: الفيعْال؛ أصله: القيْوام، فلما اجتمعت الياء والواو، والسابق ساكن، جعلتا ياء مشددة.

وقال الفراء: أهل الحجاز يصرفون: الفعّال إلى: الفيعال، فيقولون للصواغ: الصياغ.

---

(١) الزاهر: (٣١/٢).

(٢) المصدر السابق: (٤٥٧/١).

وأما: القيِّم، فإن الفراء وسيبويه اختلفا فيه:

فأما سيبويه فقال: القيِّم وزنه الفيْعل، وأصله القيوِم، فلما اجتمعت الياء والواو والسابق ساكن، أبدلوا من الواو ياء، وأدغموا فيها التي قبلها، فصارتا ياء مشددة. وكذلك قال في (سيد وجيد وميت وهين ولين) وما أشبهه فهو فيعل أصله: ميوت وسيود وجيود وهيون.

وأنكر الفراء هذا وقال: ليس في أبنية العرب: فَيْعِل، [إنما هو: فَعِيل، مثل: صيرف وخيفق وضيغم. وقال في: قيم وسيد وجيد، هذا من الفعل: فعيل، أصله: قويم وسويد وجويد، على وزن: كريم وظريف، فكان يلزمهم أن يجعلوا الواو ألفا لانتفاح ما قبلها، ثم يسقطوها، لسكونها وسكون الياء التي بعدها، فلما فعلوا ذلك، صار فعيل، على لفظ: فعل، فزادوا ياء على الياء، ليكمل بها بناء الحرف" .[1]

ومن أمثلة التوجيه البلاغي قوله في توجيه القراءات الواردة في (مفرطون): "قال الكسائي والفراء: معنى قول الله عز وجل: {وأَنّهم مفرطون}:

وأنهم منسيون في النار. يقال: أفرطت الرجل: إذا أخّرته ونسِيته.

وقرأ نافع: {وأنهم مُفْرِطون}، بكسر الراء. وقرأ أبو جعفر: {وأنهم مُفَرِّطون}.

فمعنى قراءة نافع: وأنهم مُفْرِطون على أنفسهم في الذنوب. ومعنى قراءة أبي جعفر: وأنهم مضيِّعون مقصِّرون. وهو مأخوذ من هذا، أي: مُقَدِّمون العجز والتقصير. ومن ذلك قول الله عز وجل: {تَوَفَّتْهُ رسُلُنا وهم لا يُفَرِّطون}. وقرأ ابن هرمز: {وهم لا يُفْرِطونَ}، بتسكين الفاء. ومعنى القراءتين: لا يقدمون العجز والتقصير. قال الشاعر:

(أُمُّ الكتابِ لديه لا يُفَرِّطُها ... فيها البيانُ وفيها الحِفْظُ والعِلْمُ) وقال عز وجل: {حتى إذا جاءتهم الساعةُ بَغْتَةً قالوا يا حَسْرَتَنَا على ما فرَّطْنا فيها}. وقرأ علقمة بن

(١) الزاهر: (١/٩٠).

قيس: {على ما فَرَطنا فيها}. بتخفيف الراء، ومعنى القراءَتين جميعا على ما قدَّمنا من التفسير.

ومن أمثلة التوجيه الدلالي قوله: "الألق: استمرار لسان الرجل بالكذب، واستمراره في السير. يقال: ولق يلق ولقا. وقرأت عائشة: {إذ تلقونه بألسنتكم}، بفتح التاء وكسر اللام، على معنى: إذ تستمر ألسنتكم بالخوض في ذلك، والكذب فيه.

ومن قرأ: {إذ تلقونه بألسنتكم}، أراد: [إذ] يتلقاه بعضكم من بعض.

وقرأ اليماني: {إذ تلقونه بألسنتكم}، بضم التاء، على معنى: إذ تذيعونه وتشيعونه".(١)

***العنصر الثالث: توجيه القراءات بالرسم العثماني.**

من المصادر التي يفزع إليها ابن الأنباري ـ رحمه الله ـ في توجيه القراءة ما ثبت في الرسم العثماني، إذ موافقة الخطّ ركن من أركان القراءة المعتبرة، فموافقة المصحف أمارة على صحة القراءة.

ومن أمثلة اعتماد ابن الأنباري هذا المصدر: قوله:" قرأ أبو حرام العكلي: فظلتم تفكنون.

قال أبو بكر: ولا يجوز لأحد أن يقرأ بهذه القراءة لأنها تخالف المصحف".(٢)

**

(١) المصدر السابق: (١/٥٠٠).

(٢) المصدر السابق: (١/١٦٠).

الخـاتمة

بعد هذا التطواف في هذا السفر النفيس مع الإمام ابن الأنباري في كتابه؛ فإنه يحسن تقويم منهجه ـ رحمه الله ـ في عرض القراءات وتوجيهها، وتسجيل ما له وما عليه، وقبل الشروع في سرد المحاسن يجدر القول بأن هذا الكتاب قد كتب الله له قبولًا ورضىً، فتناقله الناس، واختصروه، كما اختصره الزجاجي وغيره..

إن تقويم أيِّ عملٍ لا بدَّ له من ركائز يتبين من خلالها قيمة ذلك العمل قوة وضعفًا، ومِن تحرّي الإنصاف أن تُطْلَبَ المحامد والمزايا كما تُتَتَبَّعُ المآخذ والمثالب، لذا كان من المناسب أن يُتَناول من جانبين:

أحدهما: محاسن توجيه ابن الأنباري ومميزاته.

الثاني: المآخذ على توجيه ابن الانباري.

* أما المزايا التي يتَّسم بها الكتاب، والمحاسن التي يتَّصف بها، فكثيرة، وهي الأصل، ويمكن تلخيصها فيما يأتي:

• **أولًا: أصالة الكتاب: وذلك من جهتين:**

الأولى: أن له عناية خاصة واهتمامًا بالغًا عند العلماء.

الثانية: أصالته من جهة تقدُّم عصر مؤلفه، وعلوِّ طبقته، فهو من رجال المئة الثالثة والرابعة الحافلة بأمثال أبي حاتم السجستاني، والمبرد، وثعلب، وابن جرير الطبري، والزجاج، وابن السراج، والنحاس، وتلك هم طبقة رفيعة، وهذا يضفي على كتابه وكلامه قيمة عالية، ويجعله في مصافِّ الطبقة العليا من كتب اللغة.

• **ثانيًا:** نفاسة مادَّته وعزّتها، وذلك من جهة حِفْظِه لنصوصٍ كثيرة من مؤلفات غير موجودة اليوم، فقد حوى هذا السفر القيِّم نقولات نفيسة عن أعلام كبار، دَرَسَتْ آثارهم، وفُقدتْ كتبهم، أو فقد بعضها، كأبي عمرو (ت ١٥٤هـ)، والكسائي (ت١٨٩هـ)، والفراء (ت٢٠٧هـ)، وأبي عبيدة (ت ٣٢٤هـ)، وغيرهم، وهذا مما يزيد الكتاب قوَّة، ويجعله رأسًا ومرجعًا لا يستغنى عنه في بابه.

• **ثالثًا:** الشمولية والاستيعاب، ويتجلى ذلك استيعابه الأوجه اللغوية في تخريج القراءات التي أوردها، فقد حوى ما ذكره غيره في الاحتجاج لها وزاد عليه، وفيه من التعليلات الاجتهادية التي لم يُسْبَق إليها.

•**رابعًا:** التحرير والتحقيق: حيث تميّز بسبر الأقوال وتحقيقها، وبيان تفاوتها، وردّه لبعض الأقوال اللغوية في التوجيه، وبيانه وجه وهائها وضعفها في مواضع ليست قليلة، كل ذلك في دقة وتحرير، وحجة برهان.

•**خامسًا:** الموضوعية والتجرّد: حيث جاءت تقريراته للمسائل بعيدة عن التعصب أو التحيّز لمدرسة نحويّة بعينها، يوضح ذلك موافقته للكوفيين في مسائل، وللبصريين في أخرى.

•**سادسًا:** حُسْنُ توظيف الأدلة الأثرية والعقلية في الانتصار للقراءة، حيث أفاد في الاحتجاج للقراءات من القرآن والقراءات المتواترة الأخرى، ومصاحف الصحابة وقراءاتهم، والسنة النبوية وكلام العرب وأشعارهم وغير ذلك من الأقيسة العقلية، والحمل على النظائر.. ما جعل لتقريره حجة وقوة.

• **سابعًا:** لغة الكتاب العالية، التي جمعت بين الجزالة والسهولة، والقوة والوضوح، ما يجعل الكتاب قريبًا من الأفهام، سهل المرام، مع دقة العبارة وحسن اختيار اللفظ.

• **ثامنًا:** الاستطرادات النافعة، فربّما تعرّض بعد توجيه القراءة المذكورة في الأصل إلى شرح غريب، أو تفسير آية، أو توجيه قراءة شاذة أو نحو ذلك مما له صلة بالآية.

• **تاسعًا:** تأثير الكتاب في المؤلفات التي بعده، حيث استفاد منه بعض مَنْ جاء بعده، كالثعلبي، والواحدي، وابن الجوزي.

ومهما يكن من أمر فإن المقام يطول بتعداد المزايا وسردها، غير أن كل عمل بشري يعتريه ما يعتري البشر من الخطأ أو القصور في بعض الجوانب، وفيما

يأتي بيانٌ لما وقع من ذلك في توجيه ابن الأنباري، على ما أملاه عليّ علمي القاصر، وفكري الفاتر:

أولًا: عدم الدقة في العزو، فقد يعزو القراءة السبعية المتواترة إلى غير السبعة، كأن يعزوها إلى عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، الأعمش، أو الحسن.. أو غيرهم من التابعين.

ولعل العذر في ذلك أمران:

أحدهما: أن الكتاب لم يصنفه مؤلفه لبيان اختلاف القراءات وذكر رواتها ورواياتها، فموضوع الكتاب هو اللغة عمومًا، والعناية بعزو القراءات إنما محله كتب الرواية، وموضعه مصنفات القراءات لا اللغة.

الثاني: أن اختيار القراء العشرة أو حتى السبعة لم يكن مستقرًّا في عصر المؤلف؛ فإن ابن الأنباري عصريّ ابن مجاهد مسبّع السبعة والذي توفي عام (٣٢٤هـ/٩٣٦م)، أي قبل ابن الأنباري بأربع سنين لا غير.

ثانيًا: قد يؤخذ على المؤلف إغفاله عزو القراءة أحيانًا، وإبهامه من قرأ بها.

والعذر في هذا كالعذر في سابقه.

ثالثًا: عدم التزامه منهجًا واحدًا في التوجيه، فقد يطيل أحيانًا ويقصّر أحيانًا، وتارة يقدم الآية على توجيهها، وأخرى يؤخرها... إلى غير ذلك من الإشارات الدالة على عدم الاطّراد في المنهج.

ولعل العذر في ذلك: أن لكل قراءة ما يحكمها من اعتبارات وأحوال، فيطيل أحيانًا في المقام الذي يقتضي الإطناب، وذلك أن يكون ثمّة اختلاف في توجيه القراءة وتنازع في تخريجها، ويختصر إذا انتفى ذلك، وكذا التقديم والتأخير يخضع لسياق الكلام، ولما يقتضيه الحال والمقام.

رابعًا: سكوته عن القراءات المخالفة لرسم المصحف أحيانًا، وعدم التنبيه على ذلك.

ولعل العذر في هذا ـ والله أعلم ـ ما رآه المصنف من وضوح الأمر، وظهوره، وعدم ورود اللبس عليه.

*** أما النتائج التي توصل إليه البحث:**

ففيه ـ إضافة إلى ما تضمنته المزايا والمآخذ المذكورة آنفًا من النتائج ـ ما يأتي:

أولًا: أن ابن الأنباري (ت٣٢٨هـ/٩٤٠م) من أساطين علوم القرآن واللغة والتفسير، فقد كان ذكيًّا فطنًا آية في الحفظ، معروفًا بالصدق والصيانة، وأخذ عن ثعلب، وإبراهيم الحربي، وتتلمذ عليه ثلّة من الأعلام في شتى الفنون، كأبي الحسن الدارقطني، وأبي جعفر النحاس، وابن البواب، وأبي علي القالي، وابن بطّة، وابن خالويه، والأزهري، والزجاجي، وغيرهم.

وله ثلاثة عشر مؤلفًا مطبوعًا، وثلاثة وثلاثون مؤلفًا مفقودًا في مختلف العلوم، كما نسبت إليه خمسة مؤلفات خطأ.

ثانيًا: أن كتاب (الزاهر) سفر نفيس جمع فيه مؤلفه معاني الكلمات والعبارات التي تدور على ألسنة الناس في مخاطباتهم، ومحاوراتهم، وكذا ما يكون من الألفاظ الشرعية في الصلوات والأدعية والأذكار، مستشهدًا لذلك كله بالآيات والأحاديث وأشعار العرب، وهو مصنف ضمن كتب الأمثال.

وقد كان للكتاب أثرٌ كبيرٌ فيمن بعده، فنقل عنه الزجاجي، وأبو علي القالي، والأزهري، والزبيدي، والعسكري، وابن سيده، والخطيب البغدادي، والسهيلي، وابن الجوزي، والصغاني، والقرطبي، والزركشي، وابن حجر، والسيوطي، وغيرهم.

ثالثًا: أن القراءات الواردة في هذا الكتاب جاءت على أنواع، منها ما هو مروي عن السبعة (نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وعاصم وحمزة والكسائي)، ومنها ما جاء عن الثلاثة المتممين لهم (أبي جعفر، ويعقوب، وخلف)، وكذا الأربعة الزوائد عن العشرة (الحسن البصري، وابن محيصن،

والأعمش، واليزيدي)، كما فيه قراءات منسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأخرى تنسب إلى الصحابة وإلى مصاحفهم، وكذا قراءات ثبتت عن التابعين، وأخيرًا قراءات خالفت الرسم.

رابعًا: أن مصادر القراءات عند ابن الأنباري في كتابه (الزاهر) هم جملة كثيرة من السلف، من الصحابة ومَن بعدهم، وقد أكثر النقل في توجيه القراءات عن ثلاثة، وهم الكسائي، والفراء، وأبو عبيدة، ثم أبو عبيد، وإبراهيم الحربي.

خامسًا: أن المصطلحات التي استعملها ابن الأنباري في عرض القراءات وعزوها: (بعض القراء، قراءة القراء، أكثر القراء، جماعة القراء، سائر القراء، العامة، العوام)، وقد يعزو إلى البلدان كقوله: (أهل البصرة، والكوفيون، والمدنيون، وأهل الحجاز، وأهل الحرمين).

سادسًا: أن ابن الأنباري قد يسند القراءة إلى من قرأ بها بالسند المتصل، وقد يعدل عن ذلك كما هو الأغلب من صنيعه.

سابعًا: أن ابن الأنباري لم يلتزم دائمًا بنسبة القراءة إلى من قرأ بها، سواء كانت تلك القراءة متواترة أو شاذة.

ثامنًا: أنه قد يعيّن القراء ويسميهم عند عزو القراءة وإسنادها إلى من قرأ بها، وقد يعمم فينسب القراءة إلى جهة أو مصر من الأمصار، وقد يبهم فيشير إلى وجود القراءة عند بعض القراء أو قوم منهم أو عامتهم.

تاسعًا: أنه لا يستوعب القراء الذين تعزى إليهم القراءة، بل يكتفي بذكر بعضهم؛ إذ المقام مقام دراية لا رواية.

عاشرًا: سار في ضبط القراءة على طريقتين: الضبط بالحرف، والضبط بالوزن.

حادي عشر: لم يعتن ابن الأنباري كثيرًا بالحكم على القراءات التي يذكرها في كتابه من حيث القبول أو الرد، أو من حيث التواتر أو الشذوذ، ذلك أن المورد

الذي من أجله أورد هذه القراءات هو الاستشهاد بها على المسائل اللغوية، والاستئناس بها في بيان الغريب، والاستفادة منها لفظًا ومعنى، وهذا كله لا يتوقف على معرفة حكم القراءة من حيث الرواية تواترًا أو شذوذًا، إذ القراءات الشاذة حجة في المسائل اللغوية، ودليل صحيح في إثباتها والاحتجاج لها.

ثاني عشر: أن ابن الأنباري لم يضعف قراءة عشرية في هذا الكتاب، لكن تعرض لبعض القراءات الشاذة بالنقد، وربما علق المسألة اللغوية على ثبوت القراءة وصحتها.

أما قراءة حمزة (دُرِّيْء) فإنه نقل قولَ الفراء في تخطئتها، ثم أتبعه بما يرد عليه من قول سيبويه وأبي عبيد في الاحتجاج للقراءة، وبيان أن لها أصلًا صحيحًا في اللغة، ومثالًا في الاستعمال يمكن أن تقاس عليه.

ثالث عشر: أن أقوال المصنف التي تمثل رأيه الخاص، فهي كثيرة جدًّا، ولا غرو في ذلك ولا عجب، فهو من أساطين العربية، وأئمة اللغة الكبار..

رابع عشر: أن ابن الأنباري استعمل عند تعبيره عن التوجيه للقراءة والاحتجاج لها بمصطلحات وعبارات، كأن يقول: كذا وكذا حجةٌ لهذه القراءة، أو حجة لفلان، أو قرأ فلان كذا على معنى، أو على أنه، أو يقول: العلة في هذه القراءة، وإلى هذا المعنى ذهب من قرأ كذا وكذا، إلى غير ذلك من ألفاظ وعبارات.

خامس عشر: استند ابن الأنباري إلى جملة من الأدلة في توجيه القراءات تتمثل في ثمانية أدلة، وهي: القرآن الكريم، والأحاديث والآثار، والرسم العثماني، وقراءات الصحابة ومصاحفهم، ولغة العرب وأشعارها، وأخيرًا الأقيسة وموافقة السياق.

سادس عشر: اتسم الاحتجاج لدى ابن الأنباري بسمات عدّة، واتخذت طرائقه في توجيه القراءات صورًا مختلفة تنوعت بتنوع أغراضها وأسبابها..

– فربما دلّل على صحة الوجه اللغوي بالقراءة.

– ويظهر بجلاء الحسّ النقدي لدى الإمام ابن الأنباري، فقد جمع في توجيه القراءة بين المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج النقدي التعليلي.

– كما اتسم منهجه أيضًا بالاحتجاج بالقراءة القرآنية في التنبيه على خطأ العوام وأوهامهم في كلامهم.

– ومن سمات توجيهه أيضًا: أنه ربما فاضل بين الرأيين ورجح أحدهما على الآخر.

– كما نجده أحيانًا يطيل النفس جدًّا في بيان وجه القراءة، ويذكر الأقوال، ويستشهد لها بكلام العرب وأشعارهم.

– ومن سمات المنهج أيضًا: أنه قد يقدم تخريج القراءة عليها، فربما وجه القراءة قبل أن يوردها.

سابع عشر: جمع ابن الأنباري جملة من أنواع التوجيه، كالتوجيه بالمأثور، ويدخل في ذلك توجيه القراءات بالقرآن، والسنة النبوية، وآثار الصحابة، ومصاحفهم. وكذا التوجيه من لغة العرب ويضم التوجيه النحوي، والصرفي، والبلاغي، والدلالي. وأخيرًا: التوجيه بالرسم العثماني.

هذا وإن البحث يوصي بضرورة الاعتناء بجمع أقوال ابن الأنباري ونقولاته في التوجيه ودراستها دراسة تفصيلية، والمقارنة بينه وبين أهل عصره ممن دوّن في علم الاحتجاج استقلالا أو تبعًا، وبيان مدى تأثر ابن الأنباري بمن قبله في توجيه القراءات وتأثيره فيمن بعده. والحمد لله رب العالمين.

وختامًا أسأل الله تعالى أن يكسو هذا العمل خِلْعة الإخلاص والرضا والقبول، والعفو يوم الوقوف والمُثُول، وهو حسبنا ونعم الوكيل. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

**

فهرس المصادر والمراجع

- ابن الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، الزاهر في معاني كلمات الناس، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، (مؤسسة الرسالة، بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.
- ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، (دار الكتب العلمية)، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م.
- ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف أبو الخير ابن الجزري، (المتوفى: ٨٣٣هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، ج. برجستراسر، (مكتبة ابن تيمية)، الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ /١٩٩٢ م.
- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨هـ)، الفهرست، المحقق: إبراهيم رمضان، (دار المعرفة، بيروت، لبنان)، الطبعة: الثانية ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية)، الطبعة: ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، (دار صادر، بيروت).
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، تاريخ دمشق، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع)، عام النشر: ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر)، عام النشر: ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ابن قاسم، عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، الدليل إلى المتون العلمية، (دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تأويل مشكل القرآن، المحقق: إبراهيم شمس الدين، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان).
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، لسان العرب، (دار صادر، بيروت)، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.
- أبو يعلى، محمد بن محمد ابن أبي يعلى أبو الحسين (المتوفى: ٥٢٦هـ)، طبقات الحنابلة، المحقق: محمد حامد الفقي، (دار المعرفة - بيروت).
- الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، (دار إحياء التراث العربي، بيروت)، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

– الإشبيلي، ابن خير الإشبيلي، فهرسة ابن خير الإشبيلي، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف، ومحمود بشار عواد، (دار الغرب الاسلامي، تونس)، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩ م.

– الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، المحقق: إبراهيم السامرائي، (مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن)، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

– الحربي، عبد العزيز بن علي الحربي، توجيه مشكل القراءات العشر توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية، لغة وتفسيراً وإعراباً، إشراف الدكتور: محمد سيدي الحبيب، (رسالة ماجستير بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى)، عام ١٤١٧هـ.

– الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، (دار صادر، بيروت)، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م.

– الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، (دار الغرب الإسلامي، بيروت) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م.

– الدوسري، إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري، مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، (دار الحضارة للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

– الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، بتحقيق مجموعة من المحققين بإشراف

الشيخ شعيب الأرناؤوط، (مؤسسة الرسالة)، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.
- الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، (دار الكتب العلمية)، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- الرومي، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، (حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)، الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه)، الطبعة: الطبعة الثالثة.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الأعلام، (دار العلم للملايين)، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
- السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت).
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (المكتبة العصرية، لبنان/ صيدا).

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، طبقات الحفاظ، (دار الكتب العلمية، بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.
- الشهري، د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري، الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم أهميته، وأثره، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به، (مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية)، الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، المحقق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، (دار إحياء التراث، بيروت)، عام النشر: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- الضامن، الأستاذ الدكتور: حاتم صالح الضامن، ابن الأنباري سيرته ومؤلفاته، (دار البشائر، دمشق)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.
- العوفي، فرج بن فريج بن فرج العوفي، جهود ابن الأنباري في التفسير وعلوم القرآن، (رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراة من الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة)، ١٤١٦هـ.
- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، (دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع)، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (المكتبة العلمية، بيروت).
- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار الفكر

العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٢م.

- محمد جبل، د. محمد حسن حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، (مكتبة الآداب، القاهرة)، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠م.
- مركز الملك فيصل، خزانة التراث، فهرس مخطوطات قام بإصداره مركز الملك فيصل؛ وفيه فهارس المخطوطات الإسلامية في المكتبات والخزانات ومراكز المخطوطات في العالم تشتمل على معلومات عن أماكن وجود المخطوطات وأرقام حفظها في المكتبات والخزائن العالمية.
- النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، (دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.
- نويهض، عادل نويهض، معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، (مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان)، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

* * *